# الفيصل

- المتحف الحربي: لمحات من التاريخ العسكري السوداني
- أشهر أوبرا في العالم
- سوق عكاظ: عراقة الماضي وزهو الحاضر
- نائب وزير الخارجية الصيني الأسبق: العلاقة السعودية الصينية إستراتيجية

مجلة ثقافية شهرية - رجب - شعبان ١٤٣٤هـ / مايو - يونيو ٢٠١٣م

٤٤٥
٤٤٦



# طشقند.. أيام لها إيقاع ومعان

# المحتويات



**إدارة التحرير**

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

**هيئة التحرير**

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

سيد علي الجعفري

يوسف باش أعيان

**الإخراج الفني**

الوليد إبراهيم دينار

**المراسلات للتحرير والإدارة**

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

**الاشتراك السنوي**

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

**الإعلانات**

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

**رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية**

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٠٤١١-٨٥٢٠

**الناشر**

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com






عندما أخبرني الدكتور مرتضى غازي -الأستاذ الجامعي الأوزبكي، والكاتب في مجلة الفيصل، الذي يمثّل حلقة وصل بين الأدبين العربي والأوزبكي من خلال ترجماته القيمة- عن إمكان حضور مؤتمر في أوزبكستان إذا أردتُ لم أتردّد في القبول؛ لأن ما أعرفه عن طشقند وبخارى وسمرقند وفرغانة من عمق حضاري حافز إلى ذلك.

## ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

### السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات - الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم - قطر ١٠ ريالات - البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلساً - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٤ جنيهات - السودان ١,٥ جنيه - المغرب ١٠ دراهم - تونس ١,٢٥٠ دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكاً - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

### الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) - فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢..، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١. ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣ نهج المغرب - ص.ب ٧١٩ - فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com





## أين «الفيصل العلمية»؟

ظللتُ أتابع مجلة (الفيصل العلمية) من السودان لما تميّزت به من موضوعات علمية رفيعة المستوى لأساتذة متخصصين في المجالات المختلفة، وظننتُ أنه قد فاتني العدد الأخير، فاتصلت على المجلة للحصول على العدد، فقيل لي: إنها توقفت؛ مما أصابني بالدهشة الشديدة؛ إذ كيف لمجلة لها ثقلها -حسب تقديري- أن تختفي هكذا في زمن نحن أحوج فيه إلى الثقافة العلمية الجادة؟!. ولكوني أعتقد أن كثيرين مثلي قد أصيبوا بالدهشة ذاتها آمل مخلصاً من إدارتكم الموقرة إعادة النظر في هذا القرار، وتوفير هذا الزاد الثقافي الذي ظللتُ حريصاً عليه عبر أصدقائي في المملكة، الذين كانوا يرسلون إلي أعدادها وأنا في السودان، وهاأنذا أتفاجأ بتوقفها وأنا في الرياض.

أقدّر ظروف الإصدارات المطبوعة، وقلة الإقبال عليها، لكن في الوقت نفسه هناك من لا يزال متعلقاً بها، وعلى المؤسسات الموقرة، كمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أن تتحمل مسؤوليتها في نشر الثقافة الجادة مهما كلفها ذلك.

وتقبلوا وافر تقديري.

عمرو إبراهيم وهبي
الرياض - السعودية

## التحرير

نشكر لك هذا الاهتمام، ونطمئنك بحرصنا على استمرار مجلة (الفيصل العلمية)، التي نعمل على تطويرها من خلال التعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وسينطلق في القريب موقعها الإلكتروني بثوب قشيب، ونأمل أن يكون فيه النفع والفائدة لمن ارتبطوا بالمجلة، وأثروها بالمواد العلمية الرصينة، التي حقّقت لها مكانةً عاليةً في نفوس كثيرين.



## «الفيصل» والاهتمام بالسياحة الداخلية

في ظلّ النمو السياحي في المملكة العربية السعودية، ووجود هيئة مختصة لدعم قطاع السياحة، هي الهيئة العامة للسياحة والآثار، تبرز أهمية الاهتمام بالأماكن الأثرية، وترقية المرافق الترفيهية، وفي مدينتي الزلفي كثير من المعالم الأثرية العريقة التي تستحق الإبراز والاهتمام، ومنها قصر الإمام سعود الكبير، وسمنان، وعلقة، والرقمتان، وأبو عشاش، والمطلان الشرقي والغربي، وبحيرة الكسر، وروضة السبلة، وغيرها.

ولما عهدته في مجلتنا (الفيصل) من اهتمام بهذا الجانب يسرّني أن أكتب إليكم حول الزلفي التي أراها واحةً

سياحيةً غنّاء، فما مدى إمكان قبولكم مثل هذا الموضوع؟.

ناصر بن عبدالرحمن العليق

الزلفي - السعودية

## التحرير

نشكر لك طرحك، ونبدي لك ترحيبنا بأيّ موضوع جاد عن أيّ مكان في مناطق المملكة المختلفة يستحق أن يُكتب عنه لأهميته وقيمته التاريخية، ونأمل أن يصلنا موضوعك مزوّداً بالصور التي تبرز المعالم الأثرية، وتعرّف بها.



## منبر الفكر

أتابع حوارات المجلة مع المفكرين والأدباء، وتعجبني أسئلتكم التي تعبّر عما يدور في ذهن القارئ، وأود بقدر اهتمامكم بإبراز الأفكار المختلفة أن تعملوا على استكتاب مجموعة من الكتّاب المميزين بطرحهم الفكري المستنير؛ لأن هذا يربط بين القراء والمجلة، ويجعلهم يترقبون ما سيجود بهم كتّابهم المفضلون. كما أتمنى أن تكون هناك ندوات فكرية تتبناها المجلة، وتقوم بتحريرها ونشرها؛ لأن هذا يتيح المجال للمتابعة من مختلف المناطق والبلدان.

أدري أن من الصعب إرضاء جميع الأذواق، لكن يظلّ للطرح الفكري الجاد متابعون يتوقون إلى زيادة حصيلتهم الثقافية، وإثراء معارفهم، ومجلة (الفيصل) برصانتها كفيلة بأن تكون هي منبر الفكر الذي يتيح الفرصة للتثاقف وتبادل الرأي بعد أن عزّت المجلات والدوريات الجادة.

وتقبلوا وافر تحياتي.

طلال محمد سليمان

جدة - الرياض

## التحرير

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن تكون جهودنا لطرح مختلف الأفكار ملموسة لدى القراء، والاقتراحان اللذان طرحتهما سنعمل على دراستهما، والنظر في إمكان ترجمتهما إلى عمل، لكن عموماً يشارك مجموعة متميزة من أصحاب الفكر في مختلف المجالات في إغناء المجلة، ولإتاحة المجال لأكبر عدد منهم كان الرأي عدم تخصيص مساحات لكتّاب معينين، ومع هذا اقتراحك بالاستكتاب جدير بالدراسة، ولك تحياتنا.



استطلاع

عندما أخبرني الدكتور مرتضى غازي -الأستاذ الجامعي الأوزبكي، والكاتب في مجلة الفيصل، الذي يمثّل حلقة وصل بين الأدبين العربي والأوزبكي من خلال ترجماته القيمة- عن إمكان حضور مؤتمر في أوزبكستان إذا أردتُ لم أتردّد في القبول؛ لأن ما أعرفه عن طشقند وبخارى وسمرقند وفرغانة من عمق حضاري حافز إلى ذلك.


حسين حسن حسين

هيئة التحرير


# طشقند..

# أيام لها إيقاع ومعان





## علماء أثروا الحضارة الإسلامية

أنجبت أوزبكستان عدداً كبيراً من العلماء الذين أثروا الحضارتين الإسلامية والإنسانية، ومن هؤلاء الأئمة والعلماء: البخاري، والترمذي، والماتريدي، ومحمود الزمخشري، والمرغيناني، ومحمد الخوارزمي، وأحمد الفرغاني، وأبو الريحان البيروني، وابن سينا، وميرزا أولوغ بك، وعلي شير نوائي، وغيرهم من العلماء الأفذاذ.

وبعد موافقة إدارة التحرير بأيام تلقّيتُ دعوةً فخيمة ممهورة بتوقيع نائب رئيس الوزراء الأوزبكي لحضور مؤتمر (بناء الإسكان الحديث عامل محرّك للتطوير المتكامل في المناطق الريفية)، الذي يُعقد في العاصمة طشقند بتاريخ ١٦-١٧ إبريل ٢٠١٣م، بحضور نحو ٣٠٠ مشارك أجنبي من الخبراء والمختصين، ومؤسسات الأمم المتحدة، والمؤسسات المالية الدولية، ومنها بنك آسيا للتنمية، والبنك العالمي، وبنك التنمية الإسلامي، والمؤسسات المعنية بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية من مختلف الدول، وممثّلي الجامعات والأكاديميات، وغيرهم.

لم تمضِ أيام قليلة إلا ووجدتُ الإخوة في سفارة أوزبكستان يتابعون معي الإجراءات، وعندما جاء دورهم لمنحي تأشيرة الزيارة وصف لي الموظف المختصّ الأستاذ عبدالسلام مكان السفارة، ووجدته ينتظرني ليأخذ مني استمارة طلب التأشيرة والصور وجواز السفر، ويطلب مني المعاودة في اليوم التالي، وبعد أن تحرّكت أمتاراً من السفارة رنّ جوالي، وإذا الأخ عبدالسلام طلب مني العودة إذا كنتُ قريباً لتسلّم جوازي، وتبعه الدكتور مرتضى للاطمئنان.

هذه المقدمة كانت إشارةً مبشّرةً -في رأيي- عن طبيعة هذا الشعب، ومدى ترحيبه بالضيوف، كانت عربية عبدالسلام ذات لكنة محبّبة، وكان يصرّ على أن يكون الحديث بها؛ مما يعطي انطباعاً جميلاً، وإحساساً بأن هذا الشعب يعتزّ باللسان العربي بوصفه لغة القرآن الكريم.

كان مطار الملك خالد الدولي مزدحماً، وكانت الإشغالات مربكةً، عندما وصلت إلى الكاونتر كانت هناك مجموعة من الشباب الإماراتي العائد من دورة مع هدايا أثقلت الحقائب التي انتظمت في صف طويل، وتفادياً للزحام فُتح كاونتر آخر، لكنني آثرتُ البقاء في هذا الصف الذي يبدو شاغلوه آيةً في اللطف والأدب، وهم يتبادلون التعليق بعضهم على بعض.

عندما وصلت إلى الموظف أخذ جوازي، وسألني إذا كنتُ سأدخل الإمارات، فتعجّبتُ من السؤال، فأجاب بأن عفشي



منظر عام لطشقند ويظهر شارسو بازار



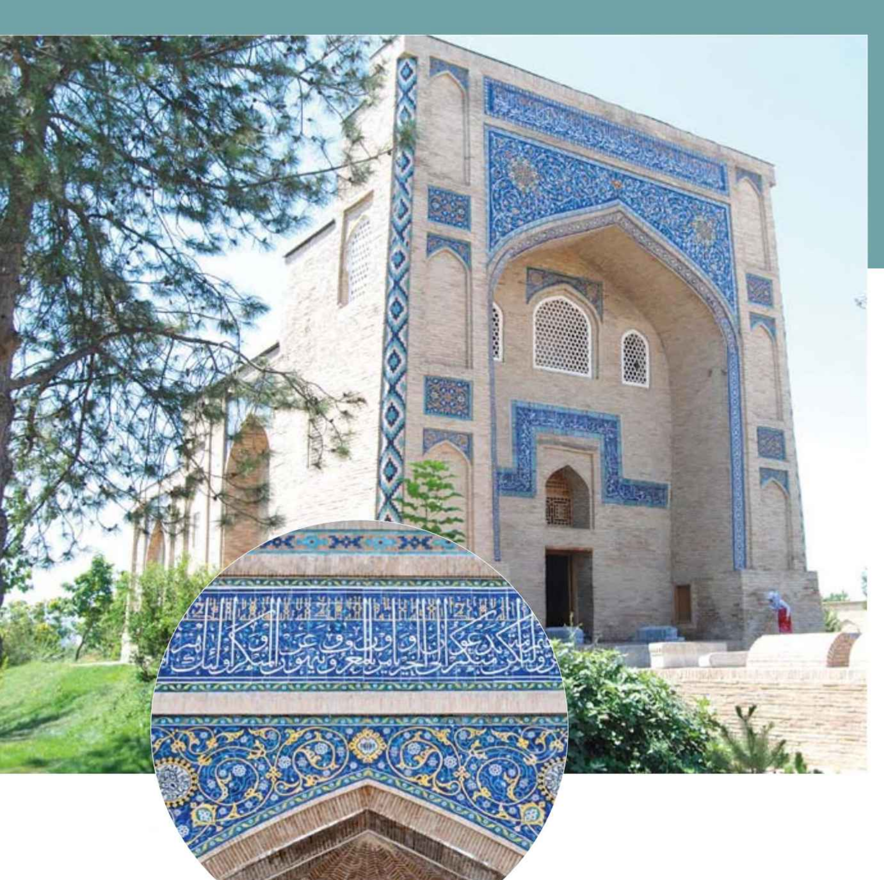
مدارس طشقند ومساجدها القديمة تعانق السماء

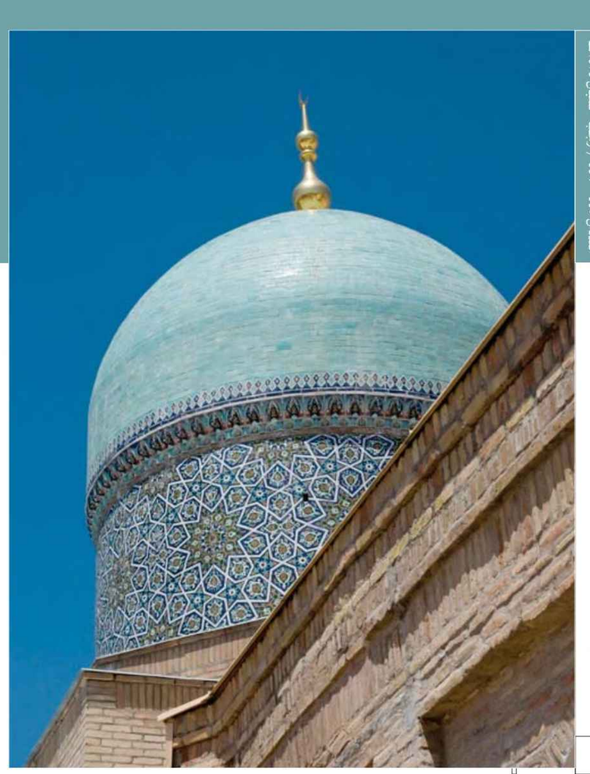
سيُشحن إلى دبي، ومن هناك إلى طشقند، وقبل أن أفيق من المفاجأة قال لي: إن المسموح به هو حقيبة واحدة، وأيّ زيادة تعني دفع رسوم، ولم يترك لي الموظف مجالاً للحيرة، فقال: غلّف القطع الثلاث لتصبح واحدةً، وفي ثوانٍ كانت الحقيبتان اللتان أحملهما قد فقدتا أناقتهما، وشكّلتا مع هدية الدكتور مرتضى لأهله شيئاً بيضوياً لا أول له ولا آخر.

وعندما عُدتُ بعفشي مغلّفاً وجدت المكان خاوياً على عروشه، ولم ينقذني إلا موظف أظنّه أحد المشرفين يسألني عن وجهتي، وعندما علم أنني ذاهب إلى دبي أشار إلى الجهة المقابلة حيث وجدت صفوفاً متعرّجة، فلم أعرف أين أقف، وكان من المشاهد الطريفة أنني وجدتُ أسرةً آسيويةً يتحدث أبناؤها الصغار العربية بطلاقة، بينما يطحنها الآباء طحناً، ويتكلم الجدان بلغتهما التي لم أعرف ما هي بطلاقة، والعربية بالإشارة، ويبدو الإعجاب في أعينهم، وهما يتابعان الأحفاد الذين يتفاهمون بعربية بليغة مع الموظفين؛ فهؤلاء أصبحوا عرباً ما دمنا نقول: إن العربية هي اللسان، وهي الثقافة، وهذا فضل للمملكة العربية السعودية التي فتحت أبوابها مشرعةً ليحدث هذا التثاقف.

## حيرة وإلهام في مطار دبي

لم أتحيّر في مطار الملك خالد كما تحيّرتُ في مطار دبي؛







## مجمع حضرة إمام

يسميه أهل الأوزبك (خوست إمام)، وهو من أهم المعالم الإسلامية الأثرية في طشقند، وأعيد بناؤه عام ٢٠٠٧م بمبادرة من رئيس الجمهورية الذي اهتم بتطوير المزارات التاريخية حسب الطابع المعماري لعصرها. ويتكوّن المجمع من مسجد حضرة إمام، وضريح الإمام القفال الشاشي، المعروف بفقيه طشقند، ويضم المجمع مكتبةً تشتمل على النسخة الأصلية للمصحف العثماني، وبه مدرسة براق خان العريقة.

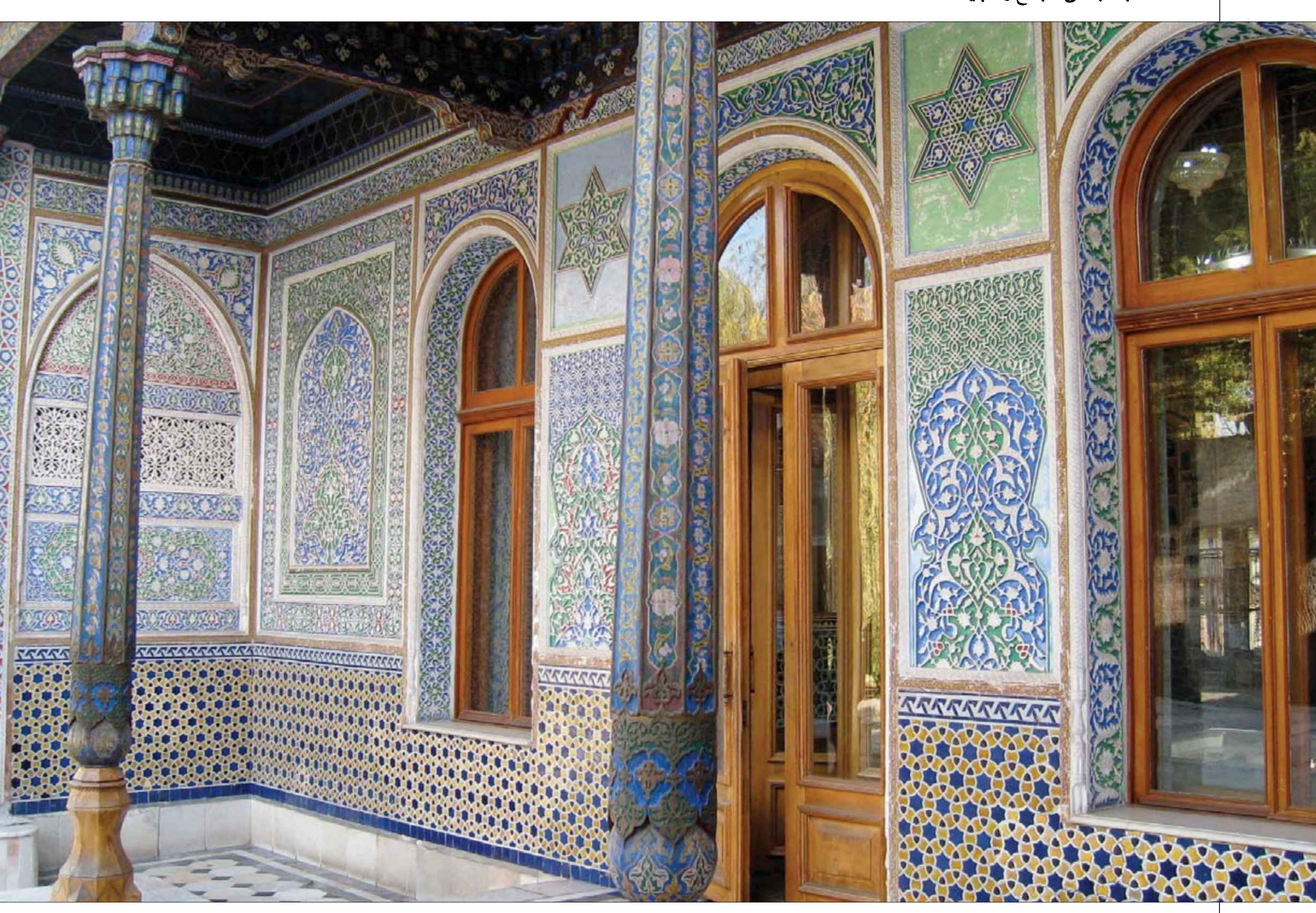
فمطار دبي عشقته في رحلتي مع ابني حسن إلى ماليزيا لألحقه بإحدى جامعاتها، ومنّيت نفسي بالتمتّع بما فيه من محلات فيها عصارة الرأسمالية من بضائع ومغريات تعطي الإحساس بالرفاهية، وفيه من الوجوه ما يرسم خريطة العالم، ولا شك أنك واجد بينها ذلك الحسن الذي يخطف الألباب، وقد يكون في شكل الشوكولاتة أو الحليب أو الاثنين معاً.

كانت حيرتي كيف يمكن لعفشي البيضوي أن يرافقني إلى طشقند، وأردتُ أن أسأل موظف الاستعلامات الوحيد الجالس في الكاونتر، إلا أنه انشغل عني بأهله الهنود، الذين يظهر من تعبيراتهم أن ثمة مشكلةً تواجههم، وأنا بصفتي نوبياً، العربية بالنسبة إليّ لغة ثانية، أعرف سحر اللغة الأم في المهجر، فتزوّدت بالصبر حتى انتهوا من تحويل مشكلتهم إلى مكتب ما في هذا المطار الشاسع.

التفت إليّ الموظف وسألني: أأنت سوداني؟ رددتُ عليه بالإيجاب، فأخبرني أن لديه أصدقاء سودانيين كثيرين، وأن عموم السودانيين شعب جميل وطيب، ومع أن هذا المعنى تجري به ألسنة كثيرين إلا أنه يُشعر الإنسان بزهو بالغ. ولم يكن لديّ وقت لمزيد من الزهو، فطلبتُ منه أن يدلّني كيف لي أن أحصل على أمتعتي المجسّدة في ذلك الشيء البيضوي، فوصف لي المكتب المعنيّ، الذي وجدتُ فيه شاباً سورياً تهلّل وجهه وهو يأخذ جواز

سفري، ويسألني سؤال الموظف الهندي نفسه، ويكرّر الإطراء الـذي يدخل الطمأنينة في نفس المسافر القلقة، ودلّـني على شركة تُعنى بتحويل العفش، واحتاج الأمـر إلى ركوب مصعد وهبوط وصعود، حتى بلغتُ مكتباً في مكان مفتوح تجلس عليه فتاة تكتسي جمالاً، فتمنيتُ أن تكون المقصد. وعندما سألتها بالعربية، لسحنتها العربية الواضحة حتى ظننتها من جميلات هذه الإمارة الفاتنة، هزّت رأسها مع ابتسامة خجلى كأنها تعتذر عن عدم معرفتها العربية، فسألتها بالإنجليزية عن الشركة التي دلّني عليها السوري، فقالت: لقد وصلت، فقلت لها: الحمد لله. تبسّمت وهي تتسلّم الجواز، وتلفّتت في الوقت نفسه إلى سيدة عجوز عرفت من جواز سفرها أنها سورية، وقالت لها: إن عليها أن تراجع المكتب بعد الرابعة عصراً، والسيدة تبرز بانفعال المبلغ الذي معها، وهو ليرات سورية، وتردّد أنها لا تملك غيرها، وهي تطمئنها أن الشركة ستحلّ لها مشكلتها.

جانب من مجمع زانجياتا



ودفع المئة دولار عن طيب خاطر، وكان موقف المرأة السورية مقلقاً لي، فطمأنتني إلهام بأن الأمر محلول.

## التعارف في الطائرة

في الطائرة كانت العيون تتلاقى مع بعض الركاب السعوديين، وأشعر أن هناك كلاماً فيها؛ فقد علمتُ أن الوفد القادم من السعودية سيكون أغلب أعضائه في هذه الرحلة، وقد أفصح عن كلام العيون رجل فاضل هو الأستاذ علي إسماعيل، الذي عرّفني بنفسه، واكتشفت أنه سعودي من أصول أوزبكية، ومعه حرمه الدكتورة مسعودة علم قربان - الأستاذة في جامعة الملك سعود - وشقيقه المهندس محمد مؤمن إسماعيل - مدير صحة البيئة بأمانة منطقة الرياض - والدكتور إبراهيم الدجين - وكيل أمانة منطقة الرياض للخدمات - الذي أعرفه من قبل من خلال عملي مديراً لتحرير مجلة أمانة الرياض، إلى جانب تعاونه مع نشاط الرابطة الرياضية للسودانيين بالخارج (الصالحية) إبّان عملي سكرتيراً لها، كما كان معنا الأستاذ صالح الشاعر قادماً من جدة.

كان هذا التعارف السريع مُنبئاً عن صحبة جميلة، وقد تأكّدت من ذلك في مطار طشقند الذي استقبلنا المضيفون في صالة كبار الضيوف به، وكانوا في قمة الأدب ودماثة الخلق، ومع هذا الاستقبال الحار كانت التعليقات اللطيفة عن أسباب التأخر في إجراء جواز أحدنا، أو عن اللغة الفصحى التي كنا نحاول الحديث بها مع المستقبلين، ثم كان تخمين الحقائب المتأخرة -حسبما أعلمونا بأدب- مثار تعليق ودعابة، وتوقعت أن تكون حقيبتي البيضوية ضمنها، لكن ونحن نصعد إلى الغرف جاء من يبشّرنا بأنه لا توجد حقائب متأخرة؛ ليبدأ فاصل آخر من التعليقات الساخرة، التي كان يتجاوب معها المترجمون، الذين كانوا يبيّنون للمرافقين ممن لا يجيدون العربية مقاصدنا، فكان التجاوب حسب الفهم.

## ثلاثي أوزبكي رائع

ذهب كل واحد منا من المطار في سيارة مستقلة برفقة مترجم من الشباب الذين يدرسون في معهد الاستشراق، ويبدو من لغتهم العربية أنهم متميزون، وفي السنة الأخيرة من الدراسة التي تستمر أربع سنوات، وعرفنا لاحقاً أن المرافقين من



كنتُ مصراً على معرفة جنسية إلهام ذات الملامح العربية، فسألتها وهي منشغلة بالإجراءات على جهاز الكمبيوتر الذي أمامها، فردّت بابتسامة يبدو أنها اعتادت أن ترسمها باحترافية: إيرانية، فعرفتُ السرّ الذي كان خافياً عليّ.

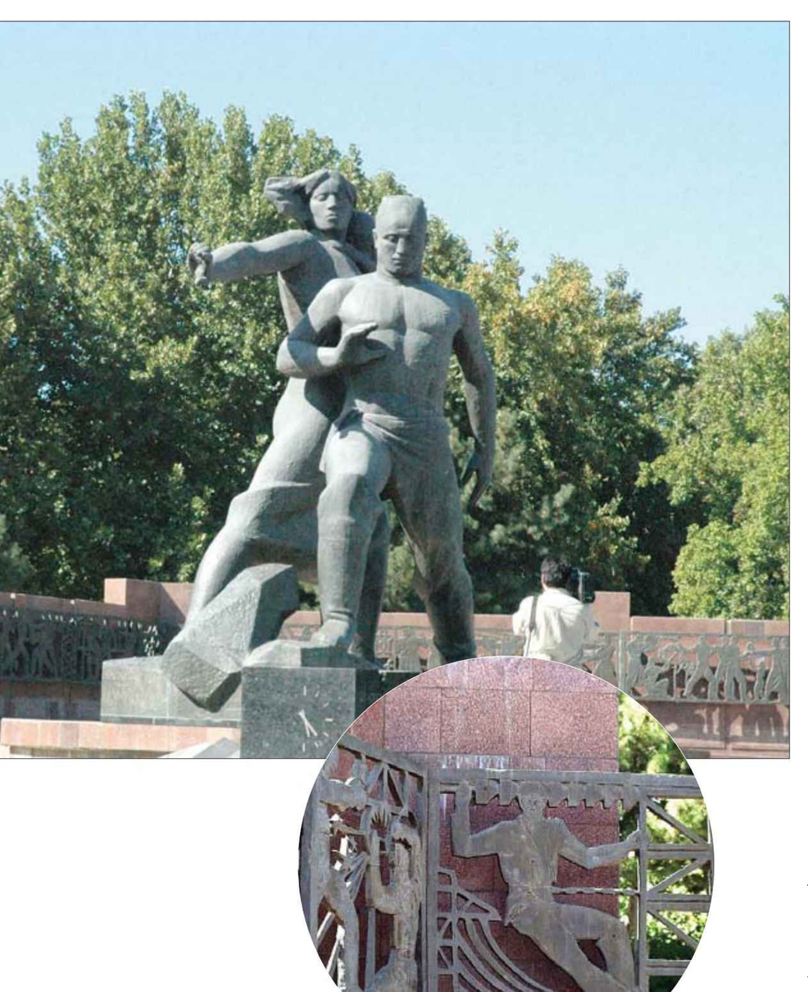
طلبت مني إلهام مئة دولار، فأبديتُ عجبي، فقالت: إن هذا التسعيرة ثابتة مهما كان حجم العفش، وهذا يحدث عندما لا يكون هناك اتفاق بين شركتي الطيران القادمة والمغادرة، وهنا هما السعودية والأوزبكية. ولم يكن هناك بد من الامتثال لإلهام،

**بنهاية القرن السادس عشر أصبح مجمع حضرة الإمام مركزاً ثقافياً، ومعلماً مهماً من معالم طشقند**

**شارسو بازار سوق شعبي من أكبر أسواق آسيا الوسطى، وهو يحتلّ مكانه منذ أيام طريق الحرير، ويجمع تحت سقفه كلّ ما يمكن تخيله من بضائع**



بعض المجسمات التي تزين ميادين طشقند



كبار موظفي الدولة، وبينهم رجال أعمال، وأساتذة جامعات، وتقوم الشركات الخاصة بتبنّي استضافة الضيوف رفعاً للعبء عن كاهل الحكومة، وهذه طريقة ذكية لقيام تلك الشركات بالمسؤولية الاجتماعية. كما كان مع كلّ منا سائق، وهو لا يعرف غالباً من العربية غير (السلام عليكم)، ولا يتكلم إلا إذا غُلبت الروم، وما كان لأحدهم أن يتغيّر أو يتخلف مهما كانت الأسباب. كان الاحترام بين هذا الثالوث واضحاً، وكانت التعليمات تأتي من المرافق، وكان من حظّي أن مرافقي الدكتور عادل كان يجيد الإنجليزية، وكان على قلّة كلامه لماحاً ذواقاً للطرفة، بينما كان الدكتور عبدالله مرافق المهندس محمد أكثر جديةً صباحاً، وأكثرهم مرحاً في المساء كما لو كان صاحب شخصيتين مختلفتين، بينما كان إركان بك مرافق الدكتور الدجين أكثرهم أريحيةً، وأطلقنا عليه مستر فرانكلين لكلفه بالدولار، وقناعته بسحره وتأثيره، وما كان لأحد منا أن يغالطه، وكان الأستاذ ناصر العربيّ الملامح أكثرهم حركةً وحيويةً على الرغم من سنّه، وكان له أسلوب مميّز في الحديث، وكان المترجمون متفاوتين في إجادتهم العربية، وكان أكثرهم إتقاناً هو عبدالرشيد، بينما كان مترجمي واسمه عبدالملك يفضّل الحديث بالإنجليزية معتذراً عن عدم إتقانه العربية كما يجب، ولعلّ زيارة عبدالرشيد مصر هي التي ساعدته على التمكّن من العربية؛ فقد كان صديقنا المهندس محمد يتحدث معه بالعربية فيكثر الكلام، ويعلّق الدكتور الدجين: لماذا هذا الكلام الكثير؟ فيجيبه مبتسماً: أنا عايز عبدالرشيد يمارس اللغة، فكنتُ أقول له: أنت أجدت الفصحى والأوزبكية في أوزبكستان؛ فقد كنت تتلعثم فيهما، ومن كثر تحدثك بهما أصبحت فصيحاً فيهما. وعندما اختبرتُ عبدالرشيد طوال الرحلة من طشقند إلى سمرقند بالقطار، سأله الدكتور الدجين: ماذا تفعلان؟ فرد ساخراً: الدكتور يمارس الامتحان.

## جزيرة السمك

لا أعرف إلى الآن ماذا يسمى ذلك المنتجع الرائع الذي يقع في أطراف طشقند في حضن جبالها، التي كانت لا تزال بها آثار ثلوج شتاء كان قارساً كالعادة، ومع سطوع الشمس بقيت تلك الآثار؛ لنعرف كيف يكون شتاء هذه المدينة الساحرة في شهر



مايو، ببردها الخفيف مساءً، وجوها المعتدل في النهار.

هذا المنتجع مخصّص لصيد السمك في بحيرته الصناعية، التي تحيطها جلسات شعبية أوزبكية تعجّ بوجوه ترسم خريطة البشر في هذه الدولة المتنوعة الإثنيات، وصادف أن كان يوم ذهابنا إليه يوماً غير عادي؛ إذ كانت هناك مسابقة في طبخ الأكلة الشعبية الأولى، وهي اللحمة بالأرز، وكان الطهاة من الشباب، مع مشرفين شارف بعضهم على الثمانين، وكانت لجنة التحكيم من عدد من المطربين والموسيقيين والممثلين المشهورين، وكان بينهم ممثل سمين اسمه عبدالرحيم رحّب بنا كثيراً، وعلمت أنه بارع في التمثيل التراجيدي والكوميدي معاً، بينما رجّحت أن يكون ممثلاً كوميدياً رائعاً، كما كان برفقتهم ممثّل عجوز قيل لنا: إن اسمه مراد رجبوف، وعندما (جوجلتُ) عنه وجدت أنه من أشهر الممثلين في أوزبكستان، وله خبرة طويلة، ونال جوائز كثيرة، وبدا لي قريب الشبه بالممثل المصري الشهير الراحل محمود المليجي، وكان مع الفرقة الغنائية مطرب كبير، هو رجبي، ومعه ابنه المطرب الشاب، وقد غنّيا لنا أغنيةً جميلةً، وبدا الأب أنيقاً ببذلته الكاملة، ولبس الابن كاجوال كالشباب عندنا، وكان أيضاً مهندماً وأنيقاً، وعلمنا أنهما من أسرة فنية عريقة.

هذا الشعب يتّسم أبناؤه بأناقة بادية لا تحتاج إلى براهين، وحسّ عالٍ في اختيار الألوان وتنسيقها، واهتمام واضح بالنظافة، ولا فارق بين من يلبس أحدث الموديلات العالمية وأولئك الذين يتزيّون بالزي الشعبي الذي يتّسم بالثراء والتنوع، ويتّفق في الذوق العالي.

اتفقنا مع المرافقين على أن يقوم الدكتور الدجين بصيد السمك بأن توضع سمكة جاهزة في السنارة ليجذبها؛ ليظهر كما لو كان صياداً ماهراً، وعندما نجح في الأولى، وضع الدكتور عبدالله سمكة ثانية؛ ليصيح مستر فرانكلين: ليست واحدة، إنهما اثنتان؛ ليعلو تصفيق كلّ من شاهد هذا المشهد (المفبرك) من روّاد المنتجع. كما افتتح الدجين المسابقة الشعبية في الطبخ وسط تصفيق الجميع في لحظات تجسّد أريحية الشعب الأوزبكي الذي يحتفي بالضيوف أيّما احتفاء. وقد أصيب أحدنا في رأسه من جرّاء الاصطدام بحديد الخيمة، فقامت مضيفة من مضيفات المنتجع بالإسعافات الأولية؛ ليتحول الموقف إلى نوع من

## طشقند.. مدينة الحجر

أوزبكستان تقع جغرافياً في المنطقة التي عرفت قديماً باسم التركستان، وهو اسم يتكون من مقطعين: ترك، وهم الأتراك، وستان، وهي كلمة فارسية بمعنى مدينة، وتتكون من أودية وسهول وجبال تمنحها تنوعاً وثراءً طبيعياً. وكلمة طشقند اسم مركب من كلمتين: طاش بمعنى الحجر، وكنت بمعنى مدينة، وتقع بين نهري سيحون وجيحون. فتح العرب المسلمون المدينة في القرن الثامن الميلادي، وقد استولى عليها جنكيز خان في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم تيمور لنك عام ١٣٦١م. واستولت عليها روسيا القيصرية عام ١٨٦٥م، وأعلنت أوزبكستان استقلالها قبيل تفكّك الاتحاد السوفييتي السابق عام ١٩٩١م بعد أن كانت إحدى جمهورياته منذ عام ١٩٢٤م. دمر طشقند في ٢٥ إبريل عام ١٩٦٦م زلزال عنيف بقوة ٧,٥ درجات على مقياس ريختر، وهاجر ٣٠٠ ألف من سكانها إلى بعض البلدان الإسلامية كالسعودية.





الطرفة، فتنطلق التعليقات، ويعلو الضحك.

كان الأكلّ متنوعاً، ولم يقتصر على السمك، وكان اللحم سيد الموقف، وهو في هذه البلاد لذيذ ولا يُملّ، وتخلّينا جميعاً عن هواجس الكولسترول والسكر والضغط وأمراض العصر التي نتوزّعها بيننا، ولم نلحظ أن تناول أحد مرافقينا دواءً، وكنا نظنّ أننا سنكتفي بالغداء، لكن ما إن غابت الشمس حتى شعرنا جميعاً بالجوع، وكان هذا ديدننا طوال الرحلة، ومع تردّدنا في تناول لحم الحصان في البداية إلا أننا ألفناه من اليوم الثاني.

## كله تمام

تحدّد لنا أن نزور المشروع الذي أتينا من أجله في اليوم التالي، نزلنا مبكرين، ووجدنا كل أفراد الفريق المضيف حاضرين وهم في كامل أناقتهم؛ أي: لم يتأخر مرافق أو مترجم أو سائق، كلهم جاؤوا مبكرين، وقد تناولوا إفطارهم، وهم في استقبال المكلفين بهم،

المرأة لها حضور قوي في النشاط الاقتصادي

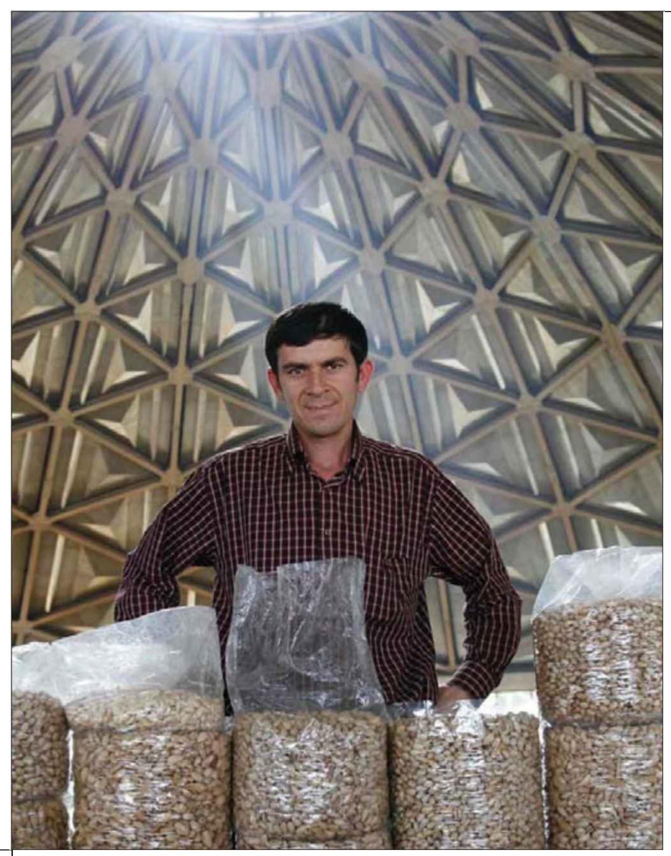
ويوجّه المرافقون الضيوف بلطف إلى صالة الطعام للإفطار؛ ليكون الحديث بعد الفطور، وهو حديث اعتدناه كل صباح؛ فهو يتناول بكلّ دقة تفاصيل برنامج اليوم، وكان هذا البرنامج جماعياً؛ أي: يشارك فيه كل الضيوف، الذين سيتشاركون في حافلة كبيرة، ومعنا مترجمون باللغة الإنجليزية، وهم شباب يمارسون عملهم بحب، ويستفسرون بعد كل شرح: هل هناك أسئلة؟ كان المهندس محمد أحياناً يلتقط بعض الأخطاء في الترجمة، ويعزوها إلى حداثة سنّهم، وصعوبة ترجمة بعض المصطلحات التاريخية والمعمارية.

## المغربي الأسود.. تكريم تيموري

في الطريق إلى المشروع الذي يقع في أطراف طشقند؛ لأنه خاصّ بسكنى ذوي الدخل المحدود، وأغلبهم من الفلاحين، مررنا على مجمع زانجياتا الذي يقع في جنوب غرب طشقند، اللقب لشيخ صوفي شهير اسمه خوجة علي، ولقب زانجياتا يعني الأسود، ويرجّح أن يكون قد قدم من المغرب العربي، وهو من مواليد النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وكان من مريدي الشيخ خوجة أحمد ياسافي الذي يعدّ من أشهر مشايخ الصوفية في آسيا الوسطى. ويُقال: إن الشيخ أحمد جاء في المنام للأمير تيمور لنك، وأمره ببناء ضريح للشيخ علي وزوجه عمبر

**افتتح قصر الاحتفالات عام ٢٠٠٩م في احتفال طشقند بمرور ٢٢٠٠ عام على تأسيسها، ولم يستغرق العمل فيه غير أربعة أشهر**

**متحف تيمور يعنى بالمواد الأثرية والإثنوغرافية، والحلي، والذخائر العسكرية، وجميع المقتنيات التاريخية التي تنتمي إلى حقبة إمبراطورية الأمير تيمور لنك**



المكسرات في شارسو بازار

بيبي، وكانت أرملة للحكيم أوتا بكري جاني، وهي تمثّل للنساء في المنطقة رمز الأمومة والخصوبة، وكان ذلك في تسعينيات القرن الرابع عشر الميلادي. ويشمل مجمع زانجياتا فناءً، ومسجداً بُني عام ١٨٧٠م، ومئذنةً عاليةً طولها نحو ٢٤ متراً شيدت خلال عامي ١٩١٤ و١٩١٥م، ومقبرةً مع حديقة وبركة كبيرة.

لاطفنا الشيخ المسؤول عن المجمع، وتحدثنا معه حول الصوفية، فقال بحزم: إن الصوفية تعني السمو الروحي، وليست الدروشة، وإنها مستقاة من تلقي العلم جلوساً على الصوف، مشيراً إلى أن هذا الصوف يوجد إلى الآن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، ولم نُرد أن ندخل في جدال، واكتفينا بأن ينفي الشيخ عن التصوف الاستكانة، ولبس الرثّ من اللباس.

## مجمع حضرة الإمام

يُعرف هذا المجمع عند العامة بـ(هاست إمام، حست إمام)، وهو مركز ثقافي إسلامي، وقد بُني على قبر الشيخ أبي بكر محمد

إحدى الفرق الشعبية تقدم عروضها للضيوف

بن علي بن إسماعيل المشهور بـ (كافال شاشي)، وكان لغوياً من علماء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وُلد عام ٩٠٣م، وزار للحج وطلب للعلم كلاً من: مكة المكرمة، والحجاز، وبغداد، ودمشق، وتوفي في عام ٩٧٥م. وبنهاية القرن السادس عشر أصبح مجمع حضرة الإمام مركزاً ثقافياً، ومعلماً مهماً من معالم طشقند، وهو يضمّ مسجد نمازغاه، ومدرسة براق خان، التي كانت تُعرف باسم (كوك قمباز)؛ أي: القبة الخضراء، وضريح الإمام أبي بكر شاشي، وضريح الشيخ بابا خوجي.

في عام ٢٠٠٧م أعيد بناء مساحة كبيرة من المجمع؛ مثل: معهد البخاري الإسلامي، ومسجد الشيخ تيلا، وبه ضريح الشيخ الذي عُرف برعايته الفقراء، وضريح الشيخ أبي بكر، ومركز لبيع المنتجات اليدوية؛ إذ كان الشيخ أبو بكر حرفياً يعمل في صناعة الأقفال، ولعل لقب كافال هو تحريف لقفال؛ أي: يصنع الأقفال، كما أن لقب الشاشي نسبة إلى مدينة طشقند التي كان يسميها العرب شاش، كما سمّاها الفرس تشاتش، وجاء ذكر تشاتش كاسم جغرافي في كتابات الملك الساساني الإيراني شابور الأول عام ٢٦٣م. كما عرفها العرب باسم (بنكث أو بينكينت) بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. أما طشقند فتسمية تركية، ووردت للمرة الأولى في كتاب المؤرخ أبي ريحان البيروني لتحلّ محل الأسماء الأخرى. وفي المجمع مكتبة ضخمة للمخطوطات، وهي مكتبة موي مبارك، التي تضم أقدم مصحف عثماني جيء به من بغداد إلى طشقند في عهد تيمور لنك، ثم ظلّ محفوظاً في مكتبة سانت بطرسبورج حتى أعيد مرةً أخرى بعد استقلال أوزبكستان عن الاتحاد السوفييتي.

وفي عام ٢٠٠٧م شيّد الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف المسجد الجامع على الطراز المعماري القديم، ولفت نظري الاعتماد الكبير على الأعمدة الخشبية، التي تعدّ من أهم عناصر العمارة الأوزبكية، فأوضحت لي الدكتورة سوزان، وهي فرنسية الجنسية ومصرية الأصل، أن تلك الأعمدة تميّز العمارة

فتاة أوزبكية بزي تقليدي



في منتجع السمك شهدنا مسابقة في طهي الأكلات الشعبية وكان المحكمون من الفنانين والممثلين المشهورين

في منتجع السمك كان اللحم سيد الموقف، وتخلّينا جميعاً عن هواجس الكولسترول والسكر والضغط وأمراض العصر التي نتوزعها بيننا


الفن أحد مظاهر الاستقبال في أوزبكستان

في أوزبكستان، بينما الخشب عنصر في الأبواب والمشربيات والنوافذ في العمارة العربية التقليدية، خصوصاً في مصر.

وعندما تأخر الزوجان العربيان الوحيدان في البازار الشعبي في المجمع ظللنا في انتظارهما، وتم البحث عنهما أكثر من نصف ساعة، وهذا الأمر كان محل تندّر حول كلف المرأة العربية بالشراء.

## شارسو بازار.. من الإبرة إلى الصاروخ

شارسو بازار Chorsu Bazaar سوق شعبي من أكبر أسواق آسيا الوسطى، وهو يحتلّ مكانه منذ أيام طريق الحرير، إلا أنه أعيد بناؤه، وعبارة (من الإبرة إلى الصاروخ) أردتُ أن أشير بها إلى أن هذا السوق يجمع تحت سقفه كلّ ما يمكن تخيّله من بضائع، ابتداءً من الفواكه والخضراوات الطازجة التي تأتي مباشرةً من المزارع، إلى الفواكه المجففة والمكسرات، والتوابل الشرقية، والملابس التقليدية والحديثة بأنواعها، والسجاد الفاخر، والسكاكين، والسيوف بأحجامها المختلفة. وليس غريباً أن تجد في هذا البازار الشهير المجوهرات جنباً إلى جنب مع السيراميك والفخار والأدوات المنزلية، كما تنتشر فيه متاجر الأحذية ومحلات الحرف اليدوية. وعندما يعتريك التعب يمكن التوجه إلى choykhana، أو أكشاك الشاي؛ لتشرب شاياً ساخناً، بل يمكنك إذا كنت جائعاً أن تأكل الكباب shashlyk.

يقع السوق خلف مدرسة كوكيلداش Kukeldash الدينية، التي تأسّست في القرن السادس عشر الميلادي، ومسجد الجمعة في طشقند. ومثل معظم الأسواق في طشقند لا يهدأ هذا السوق؛ فهو في حركة دائبة في كل يوم من أيام الأسبوع من الصباح الباكر إلى وقت متأخر من الليل. ينادي الباعة على السياح، ويعرضون عليهم بضاعتهم، وهم يكشفون جوانب تميّزها بلغتهم، أو بإنجليزية ركيكة، وهم لطيفون ولطيفات في كل الأحوال، سواء اشتريت أم لم تشترِ، وعندما ألحّت عليّ بائعة مكسرات، قلتُ لها: (كت رحمة، هياتم)، الشطر الأول يعني: شكراً جزيلاً، والثانية تعني: حياتي، فانفرجت أساريرها، ونادت على صويحباتها لتخبرهن بما قلته لها، فتصايحن بصوت عالٍ مع التصفيق، فلوّحت لهنّ مودعاً وأصوات ضحكاتهن تلاحقني، وأنا أسرع إلى اللحاق بالحافلة؛ حتى لا أؤكد تهمة ولع العرب بالتسوق.

ومن الطرائف أن المترجم طلب منا عند الوصول إلى السوق أن نسير معاً حتى لا يتكرّر التأخير، أشرتُ إلى الزوجين اللذين كانا سبب التأخير وهما يمضيان بعيداً من المجموعة، وقلتُ للمترجم: لقد تركت المهمين، فوافقني بإشارة من أصبعه، وركض خلفهما راجياً أن يلتزما السير مع المجموعة.

## شقق سكنية للأغنياء فقط

شارع الشاعر علي شير نوائي بادي الأناقة والجمال، وهو يقع في أرقى أحياء مدينة طشقند حيث يوجد مشروع شقق سكنية في مجمع متكامل، وهو خاصّ بأصحاب الدخول المرتفعة، وسعر الشقة نحو ٩٠ ألف دولار أمريكي. والعمارة في المجمع تتكون من

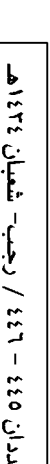
سبعة أدوار، وفي كل عمارة سوق شامل فيه كلّ ما يرغب فيه السكان، وتتراصّ المحلات التجارية ذات الماركات العالمية على امتداد الشارع، وقد حاولتُ معرفة الأسعار بالدخول في أحدها، والسؤال عن أسعار بعض القمصان والـ(تي شيرتات)، فوجدتها غاليةً جداً تفوق مثيلاتها في الرياض.

ووجدتُ تكريماً آخر لهذا الشاعر الذي يحمل الشارع اسمه متمثلاً في حديقة جميلة بها تمثال كبير له في وسطها، ويتدافع الشباب للتصوير معه، ومنهم من لا يعرف قيمته الأدبية الكبيرة.





مقر الاحتفالات من الخارج والداخل







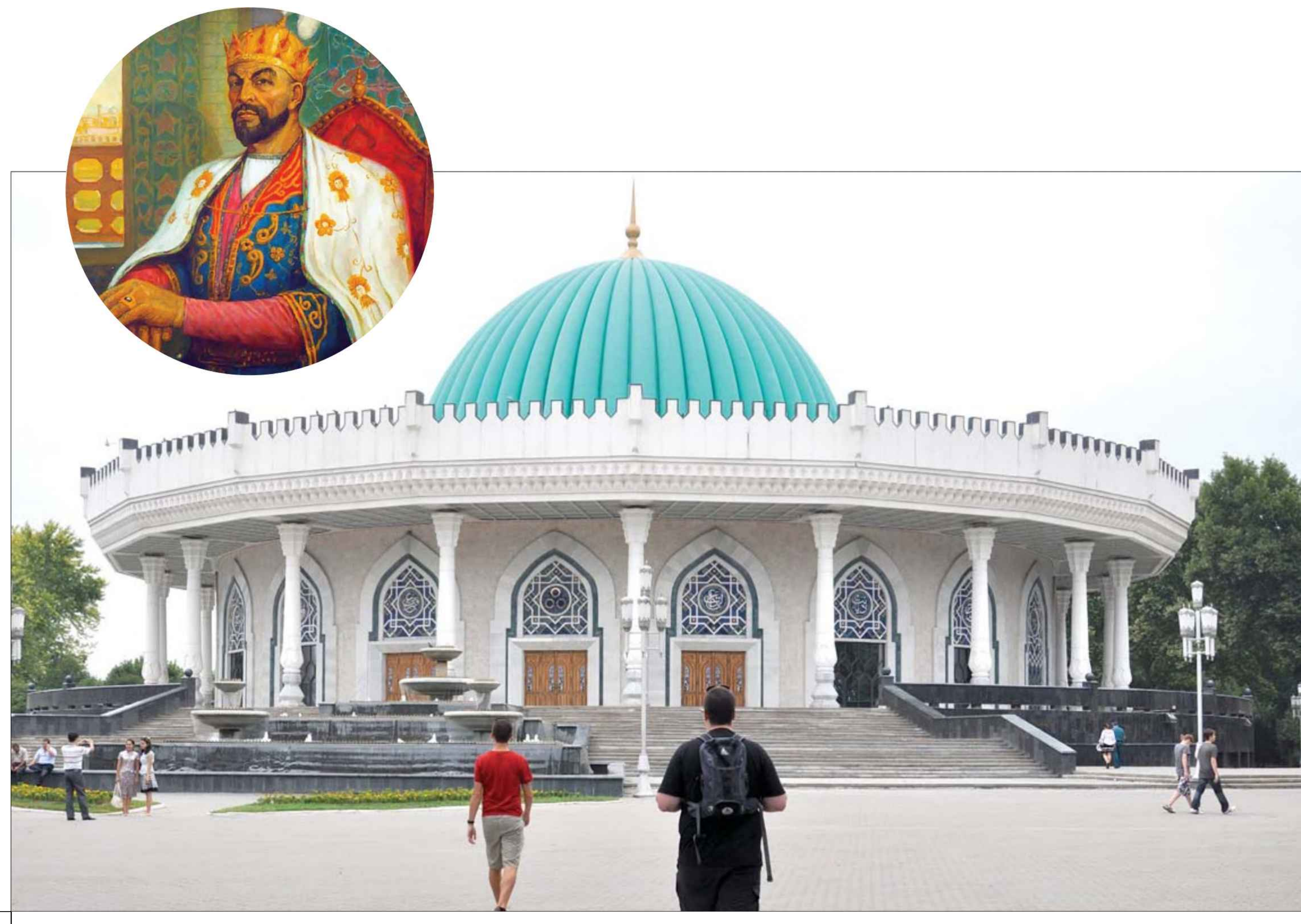
## قصر الاحتفالات.. الفخامة في قمتها

قصر الاحتفالات الدولية يقع في ساحة الأمير تيمور، وهو يستضيف أعمال الدولة والمجالس والمؤتمرات والمناسبات الكبرى، وتبلغ مساحته ٣٣ ألفاً و٧٠٠ متر مربع، وتتزاوج فيه عناصر الهندسة المعمارية التقليدية الأوزبكية مع لمسات ذات طابع عالمي، كما يتفاعل فيه الضوءان الطبيعي والصناعي، وتبدو الأبهة في أسقفه العالية، وفي مفروشاته، وزخارف حيطانه، وروعة مكوناته، التي لم يُترك فيها شيء للمصادفة؛ فقاعاته متنوعة تضمن إقامة أيّ مناسبة حسب أعداد المشاركين، وطبيعة الموضوع المطروح، والمسرح الكبير فخم يستوعب أيّ احتفال مهما كان كبيراً، وستائره مرنة، وتتغيّر ألوانها.

افتتح هذا القصر عام ٢٠٠٩م في احتفال طشقند بمرور ٢٢٠٠ عام على تأسيسها، ولم يستغرق العمل فيه غير أربعة أشهر، وعمل فيه أكثر من ٥ آلاف من المهندسين المعماريين، ومديري المشروعات، والفنيين، والعمال المهرة. كانت المهندسة التي تقوم بالشرح مستمتعةً وهي تتغزّل في المواد التي صُنعت منها مكونات القصر، وكان رأيها أن الرئيس إسلام كريموف كان له فضل كبير في تصميمه، وعندما قارن الدكتور الدجين بينه وبين مركز الملك فهد الثقافي، مسترشداً ببعض العناصر المعمارية، لم تتحمس المهندسة لهذه المقارنة، وأصرّت على تميّز القصر من غيره.

## متحف تيمور.. الاعتزاز بالتاريخ

افتتح المتحف عام ١٩٩٦م، وأصبح منذ ذلك التاريخ من أفضل الأماكن السياحية في طشقند. ويُعنى المتحف بالمواد الأثرية والإثنوغرافية، والحلي، والذخائر العسكرية، وجميع المقتنيات التاريخية التي تنتمي إلى حقبة إمبراطورية الأمير تيمور لنك. ويضم المتحف وثائق تاريخية قيمة؛ مثل: مراسلات الأمير تيمور وذريته مع ملوك أوربا، ولوحات فنية أصلية بريشة فنانين أوربيين للأمير تيمور، إلى جانب المجوهرات، والملابس، والآلات الموسيقية، والأدوات الفلكية من أولوغبيك، والمعدات العسكرية، والعملات، ويصل عدد مقتنيات المتحف إلى أكثر من ثلاثة آلاف قطعة. ويشمل المتحف اللباس العسكري الذي



متحف الأمير تيمور، وفي الإطار لوحة له بريشة فنان أوربي

كان يلبسه الجنود في ذلك العصر، ويتضمن الدروع والسهام وغيرها، إضافة إلى المساجد والمباني التي بناها الأمير تيمور، وتاج محلّ في الهند الذي بناه أحفاده. وكان حكام الحقبة التيمورية متأثرين بالثقافة الفارسية، فعملوا على جذب الفنانين والمهندسين المعماريين والأدباء من أجل الارتقاء بالثقافة.

وتعلو مبنى المتحف المستدير قبة زرقاء ضخمة، والمحيط الداخلي للمبنى مزدان بأعمدة رشيقة، تبدو كأنها تدعم السقف، ونوافذ المتحف في شكل محاريب مقوّسة. وواجهة المبنى مزدانة بطريقة فنية عالية، وتحيط بها نوافير تجذب انتباه جميع الضيوف.

ويبرز هذا المتحف اعتزاز الأوزبكيين بالقائد تيمور لنك، الذي استطاع أن يقيم إمبراطوريةً مترامية الأطراف استمرت من عام ١٣٧٠م إلى عام ١٥٠٦م. وتعني كلمة لنك الأعرج؛ نتيجة إصابته بجرح خلال إحدى معاركه، أما كلمة تيمور فتعني بالأوزبكية (الحديد). ومن يتتبّع تاريخ هذا القائد الذي توفي وهو على مشارف السبعين من عمره يدرك أنه يستحق هذه الصفة؛ فحياته سلسلة من المعارك والحروب، والرغبة العارمة في التوسّع حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

## استقبال حافل وشرح وافٍ

عندما زُرنا مقر المشروع وجدنا في استقبالنا عدداً من المسؤولين الذين كانوا يحتمون من الأمطار بالشمسيات التي تم توزيعها على ضيوف المؤتمر، وكان الاستقبال بالورد والأكلات الشعبية، التي قدمتها فتيات في عمر الأزهار بملابسهن التقليدية المزركشة المفعمة بالألوان، وهناك شيوخ بملابس تقليدية لم أعرف دورهم، غير أنني لاحظت أن الشيوخ مع الفتيات من مظاهر حرارة الاستقبال.

وشرح لنا المرشد السياحي أنه خلال السنوات (٢٠٠٩-٢٠١٢م) تم إنشاء ٢٣٥٥ مسكناً عصرياً في محافظة طشقند

بتصميمات هندسية تجمع بين الجانبين الوظيفي والجمالي، وخلال السنة الجارية سيتم إنشاء ١٠٥٠ مسكناً جديداً في ٣٩ حياً سكنياً بمناطق ريفية في محافظة طشقند. وبلغ عدد المساكن العصرية في سمرقند أكثر من ٢٣٠٠ مسكن تتمتّع بالظروف الملائمة للسكن، وتم تسليم هذه المساكن إلى السكان على أساس القروض الميسرة البعيدة المدى، وسيتم خلال السنة الجارية إنشاء ١٠٥٠ مسكناً جديداً في ٣٠ حياً سكنياً بمناطق ريفية في محافظة سمرقند. وفي محافظة بخارى، بلغ عدد المساكن المبنية خلال السنوات الثلاث الماضية ١٧٤٥ مسكناً معاصراً، وخلال هذا العام سيتم إنشاء ٧٣٠ مسكناً جديداً.

وبعد هذا الشرح وقفنا بأنفسنا على أنه في المناطق السكنية يتوافر جميع المنشآت الاجتماعية، والثقافية، والخدمات الطبية، وغيرها من الخدمات الضرورية التي تستوعب أعداداً كبيرة من العاملين، فتوفّر لهم فرص عمل في مختلف المجالات؛ مما يجعل هذه المساكن وسيلةً فعالةً لتهيئة بيئة استثمارية مواتية تسهم في التنمية المحلية، التي تصبّ بدورها في التنمية الوطنية.

ويجتذب هذا المشروع الحيوي شركات متخصّصة في إنتاج مواد البناء في أوزبكستان، وتقدم لها الدولة تسهيلات كثيرة في الإنتاج والتسويق؛ لذلك تتميز مواد البناء بنوعيتها الجيدة، وسعرها الرخيص. وتتكون الوحدة السكنية من: ثلاث غرف، وحمامين، ومطبخ حديث، مع مجلس في الفناء، وحديقة كبيرة. وتتكامل المرافق حول السكن، وتبدو في قمة الأناقة؛ فهناك المخبز الآلي، والسوبر ماركت، والمستوصف الصحي، وصالونات الحلاقة والتجميل، وصالة الأفراح والمناسبات، التي كانت ختام الرحلة في المشروع؛ إذ تناولنا الغداء على أنغام الموسيقا الشعبية التي عزفتها فرقة تضم شيوخاً وشباباً بملابسهم التقليدية، ويجلس على أريكة شعبية عدد من الشيوخ في ملابس تقليدية وإفرنجية، كما قدّمت عروض شعبية في لوحة فنية رائعة شملت ألواناً مختلفة من الفن الأوزبكي، وقامت فتيات محترفات بتقديم اللوحة التي تكوّنت من رقصات من مناطق أوزبكستان المختلفة. وأصرّت الفرقة على مشاركة الضيوف؛ لتتمازج فنون العالم في الأداء الحركي على الموسيقا الأوزبكية، وكان العرض الفني ملازماً لأيّ وليمة، كما لو أراد مضيفونا أن يشبعوا ضيوفهم بمائدة عامرة، وزاد فني فيه المتعة والجمال.


أحد منازل المشروع من الخارج

## آراء سعودية

كان للوفد السعودي آراء أفصحوا عنها في أحاديث شخصية، وفي حوارات إعلامية، فأوضح الدكتور إبراهيم بن مبارك الدجين -وكيل أمانة منطقة الرياض للخدمات- أن تجربة أوزبكستان في بناء مساكن معاصرة في المناطق الريفية غنية ومفيدة في تهيئة حياة مريحة للأسر ذات الدخل المحدود، وهي توفّر لهم كل المستلزمات والاحتياجات الضرورية، وقال: إن هذا المؤتمر طرح كثيراً من القضايا ذات الصلة بالإسكان، وعلاقته بالتنمية الشاملة، وتوفير فرص العمل، وتطوير الخدمات والمرافق؛ مما يحقق تطور المجتمع وتنميته. وأكد الدجين أنه حرص على لقاء المسؤولين في العاصمة طشقند، فالتقى المهندس محمد مؤمن إسماعيل -مدير الإدارة العامة لصحة البيئة بمنطقة الرياض- مع نائب حاكم طشقند في اجتماع تناول آفاق التعاون الممكنة بين طشقند والرياض، خصوصاً في مجال تبادل الخبرات والتجارب؛ مما يسهم في الارتقاء بخدماتهما، وتسهيل سبل الحياة للسكان بهما.

وعبّر الدكتور الدجين والمهندس محمد مؤمن إسماعيل عن شكرهما لمنظمي المؤتمر على حسن الاستقبال وكرم الضيافة، مشيدين بالمستوى العالي للتنظيم، الذي كان سبباً رئيساً في نجاح المؤتمر، وعكس صورة حضارية عن أوزبكستان، منوّهين بأن التجربة الأوزبكية مفيدة جداً، ويمكن الاستلهام منها بما يناسب ظروف المملكة.

وأكدت د. مسعودة علم قربان -عضو هيئة التدريس في



حديقة أحد منازل المشروع

**كان المرافقون من كبار موظفي الدولة، بينهم رجال أعمال، وأساتذة جامعات، وتقوم الشركات الخاصة بتبني استضافة الضيوف رفعاً للعبء عن كاهل الحكومة**

**تيمور لنك يكرم المغربي الأسود وزوجه عمبر بيبي لمنام رآه**

كلية التربية بجامعة الملك سعود- أن المساكن الريفية المعاصرة متّفقة مع نمط حياة الشعب الأوزبكي، ومناسبة مع طبيعة البلاد ومناخها، ومنسجمة مع الشبكات الهندسية المعاصرة. وعبّرت عن إعجابها الشديد بما لمسته من حرص على إحياء تراث الأجداد الأجلاء، وترميم الأماكن المرتبطة بأسمائهم، ودراسة التراث العلمي والثقافي الثري؛ لأن العيش في قلب العصر يكون بالاستناد إلى الماضي؛ لأنه لا جديد من دون قديم تليد.

## ضبط وربط.. وفصاحة رئاسية

قبل أن يودّعنا مرافقونا نبّهوا علينا ضرورة لبس البذلة الرسمية كاملةً، وأن نتناول فطورنا في السابعة صباحاً، وألا نحمل أيّ كاميرات أو جوالات. وبالفعل كان الجميع على موعد، ومع رذاذ مطر خفيف يداعب الوجوه تحرّكنا إلى قصر المؤتمرات، وكانت الترتيبات تسير كما أرادها المنظمون، الذين يتصرفون بهدوء شديد وفق تنظيم رائع. وبعد تفتيش دقيق دخلنا إلى بهو القصر، الذي كان فيه معرض عن الإسكان الريفي، وعن إنجازات ما بعد الاستقلال في كلّ المجالات.

عندما طُلب من الضيوف دخول القاعة تأخرتُ قليلاً، ووجدتُ عند المدخل منظراً لم أستطع تفسيره؛ فالدكتور الدجين يمضي إلى القاعة، ويُوجَّه المهندس محمد إلى مكان آخر، وتحيّرتُ من أتّبع، فأشار إليّ أحد المنظمين أن أذهب إلى حيث يذهب الدكتور الدجين، بينما وجم المهندس محمد لا يعرف كيف يتصرّف، وبأيّ لغة يتحدث؛ فإذا تحدث بالأوزبكية فهو يؤكد أنه من المنظمين، وإذا تحدث بالإنجليزية فلن يفهمه من يعترض طريقه، ولم ينقذه غير أحد المنظمين اقتنع بأن ينظر إلى ديباجته التي تؤكد أنه من الضيوف؛ لتنفرج أساريره بعد ذلك وهو يتحدث معهم بالأوزبكية، لكن هذا الموقف جعلنا نطلق عليه عضو اللجنة المنظمة.

كانت القاعة على اتساعها مكتظةً بالضيوف، الذين تحددت مقاعدهم بالأرقام، وكانت وسائل الإعلام تضجّ بالحركة، وبعد نحو نصف ساعة جاء الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف، وفي معيته الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية. ألقى الرئيس الأوزبكي كلمته بالروسية، وبدا لي فصيحاً وهو يلقي خطابه الذي استغرق أكثر من نصف ساعة، وبدأ بالترحيب بضيوف بلاده وجميع مشاركي المؤتمر، خصوصاً مسؤولي منظمة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك العالمي، وبنك آسيا للتنمية، والبنك الإسلامي للتنمية، واتحاد دول جنوب شرق آسيا (ASEAN)، ومنظمة اليونسكو، وغيرها من المنظمات الدولية، معبّراً عن احترامه وتقديره لهم لحضورهم هذا الحفل. واستشهد كريموف بالتاريخ، فقال: التجربة التاريخية لكثير من البلدان تؤكد حقيقة أن اختيار مجال الإسكان والبنية التحتية بوصفها الإنمائية ذات الأولوية كان أداةً رئيسةً لتحقيق الانتعاش الاقتصادي الوطني. ونوّه بأن نظام قروض الإسكان الفردية أدّت دوراً حاسماً في استئناف النمو الاقتصادي خلال حقبة الكساد



م. محمد الدجين والمحرر مع المرافقين

العظيم في الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الرئيس روزفلت عام ١٩٣٠م، وقد تم اعتماد برامج مماثلة في الوقت المناسب من أجل حفز الانتعاش الاقتصادي في ألمانيا، والمملكة المتحدة، والدول الإسكندنافية، وغيرها. وشرح كريموف المشكلات التي كانت تعيشها المناطق الريفية؛ إذ كانت المنازل تُبنى بلا تخطيط، ومن دون معايير محددة، وكان من يريد البناء محدود القدرات وهو يواجه النقص المستمر في مواد البناء، وكان هناك غياب شبه كامل لصناعة البناء في المناطق الريفية، فكانت المنازل تُبنى من مواد الخردة، وكان الطوب عادةً من الطين الخام، ومن دون أرضيات خشبية، وكان يستخدم الإسبستوس للأسقف. وأضاف: إذا أخذنا في الحسبان أن المناطق الريفية في أوزبكستان هي موطن لنحو ٥٠٪ من السكان؛ أي: نحو ١٥ مليون نسمة حالياً، فمن السهل أن نتصور حجم المشكلات الصعبة التي نواجهها اليوم في هذا المجال.

وتناول كريموف أهمية إنشاء المساكن؛ لأنها تؤدي دوراً مهماً في حلّ المسائل الاجتماعية الحادة، وتؤثر في تنمية كثير من أفرع الاقتصاد، مشيراً إلى تجربة أوزبكستان في تنمية قطاع الإنشاء في ظروف مواصلة الأزمة المالية والاقتصادية العالمية، وأكد أن الدولة أخذت على عاتقها إنشاء المساكن المعاصرة طبقاً للتصميمات النموذجية في المناطق الريفية، وكان بناء البنية التحتية، والمؤسسات الاجتماعية والخدمية، محلّ الاهتمام الخاصّ. وأوضح أنه خلال أربع سنوات من بدء أعمال إنشاء المساكن المعاصرة تمّ إنشاء أكثر من ستة آلاف مسكن في المناطق الريفية في ربوع أوزبكستان، مؤكداً استمرار هذا المشروع التنموي؛ إذ توجد أعمال إنشاء واسعة النطاق من المقرّر تنفيذها خلال السنة الجارية في المناطق الريفية، فتستمر أعمال الإنشاء في ٣٥٣ حياً سكنياً بالأرياف لبناء عشرة آلاف مسكن معاصر على مساحة أكثر من أربعة ملايين متر مربع، مع زيادة مؤشر السنة المنصرمة بنسبة أكثر من ٥٪.

وربط الرئيس الأوزبكي بين هذا التوجّه وما تشهده بلاده من تطور صناعة مواد البناء، وتوفير فرص العمل الجديدة، وتوظيف السكان، وتزايد دخلهم ورفاهيتهم من خلال زيادة حجم الأعمال الإنشائية في المناطق الريفية. وثمن كريموف مشاركة المؤسسات والمنظمات المالية الدولية؛ مثل: بنك آسيا للتنمية، والبنك الإسلامي للتنمية، والبنك العالمي، في إنجاز البرامج الخاصة بإنشاء المساكن المعاصرة طبقاً للتصميمات النمودجية في المناطق الريفية.

وسرد رئيس جمهورية أوزبكستان بعض معالم التنمية، فأوضح أن نمو الناتج المحلي الإجمالي خلال السنوات الستّ

الأخيرة كان بنسبة أكثر من ٨٪ سنوياً؛ مما ساهم في وجود فائض في ميزانية الدولة، وتوفير احتياطات كافية من العملات الأجنبية والذهب، وعدم تجاوز نسبة الإقراض الأجنبي ١٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

## بنك التنمية.. داعم رئيس

أوضح الدكتور أحمد محمد علي -رئيس مجموعة البنك الإسلامي للتنمية، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، ومقرّهما جدة- اهتمام البنك بإقامة هذا المشروع لتنمية المناطق الريفية بأوزبكستان، ووصف المشروع بأنه حجر الأساس للتنمية الشاملة في كل أرجاء الدولة. وأضاف أن هذه المبادرة لم تتوقف، وهناك برنامج طويل يستهدف الكثافة السكانية في البلد كله بإنشاء مثل هذه المساكن، مؤكداً أن هذه المبادرة مهمة للتنمية في أوزبكستان، بدأها ومازال يقوم بها الرئيس الأوزبكي لخدمة شعبه، خصوصاً فئة الشباب التي تمثّل نسبةً كبيرةً من عدد السكان؛ لأن هذه المشروعات توفر لهم فرص عمل مناسبة؛ إذ يعيش معظم هؤلاء الشباب في المناطق الريفية. وأكد علي أن البنك الإسلامي للتنمية سيمدّ هذه المشروعات في الريف بكلّ وسائل الدعم؛ تأييداً لهذه المبادرة الكريمة من رئيس أوزبكستان لهذا البلد النامي الكبير، مؤكداً استعداد البنك لمواصلة تعزيز التعاون المثمر مع أوزبكستان.

وأعقب الدكتور أحمد علي في الحديث كسياو زهاو -نائب رئيس بنك آسيا للتنمية- الذي أبدى سعادته بمشاركة البنك في دعم هذا المشروع الحيوي.

## جلسة وخمس ورش عمل وإسرائيلي

بعد راحة قصيرة عقدت الجلسة العامة التي تحدث فيها ١١ خبيراً من المؤسسات المختلفة، ثم عُقدت ورش عمل تمحورت حول الجوانب القانونية الخاصة بالدعم الحكومي لبناء المساكن، والأبعاد الاستثمارية، وارتباط المشروع بتطوير صناعة الإنشاءات والإنتاج الصناعي، وتطوير قطاع الخدمات، ومدى إسهام المشروع في إيجاد فرص عمل، وزيادة دخل السكان، وكان من حظي أن أكون في جلسة هذا المحور، ومعي الدكتور فرحات طاشكندي -الأستاذ المشارك في كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود- الذي كان مهتماً بالبعد الاقتصادي، وشارك في هذا المحور خبير إسرائيلي تحدث عن تجربة الدولة الصهيونية في تأسيس الكيبوتس، وأثره في المجتمع الإسرائيلي.

وكان الوجود مع إسرائيلي تحت سقف واحد تجربةً بالنسبة إليّ، ولاحظت أن الرجل يتفادى الوفد العربي بشكل واضح، وإن كان أحد الإخوة من الكويت حكى لي أن أمريكياً حاول استفزازهم في حضور الإسرائيلي بالإطراء على التجربة، وإبداء الإعجاب بإفراط واضح.

تقول المصادر الإسرائيلية: ترجع نشأة الكيبوتس إلى عام ١٩١٠م، عندما أسّست مجموعة من ١٢ شاباً يهودياً مزرعةً تعاونيةً مشتركةً أصبحت أول كيبوتس (قرية تعاونية)، وكان ذلك على شاطئ بحيرة طبرية. وأصبح كيبوتس دغانيا هذه نموذجاً لتجربة اجتماعية في إسرائيل، والخبير الإسرائيلي الذي قدم ورقته هو رئيس كيبوتس جينو سار، الذي أقيم على أنقاض قرية غور أبو شوشة الفلسطينية.

كان هذا اليوم هو الرئيس في أيامنا في أوزبكستان، وكان ممتلئاً بالنشاط الذي تخللته غفوات من الضيوف بين فينة وأخرى بسبب الإرهاق، وبعضهم لعامل السنّ، وتغيّر المناخ، وانتهى اليوم بغداء فاخر جلس فيه الوفد السعودي مع الوفد الماليزي، وكان من بين أعضائه سيدة فاضلة تبلغ من العمر ٧٠ عاماً، وكانت في قمة الحيوية، وعلّقنا بأن من تبلغ هذه السنّ في عالمنا العربي يُطلب منها أن تأخذ ركناً قصياً في البيت من دون أن يكون لها أيّ دور، وكان اسم هذه السيدة (بسم الله)، فرددنا بصوت واحد عند بدء الأكل: بسم الله، من دون اتفاق، وكان هذا مثار تندّر.

كان المؤتمر بحقّ فرصةً لإقامة صداقات في قارات العالم، بعضها لا يزال مستمراً عبر قنوات التواصل الاجتماعي التي جعلت العالم منزلاً واحداً، إن لم يكن غرفةً. وظلّ السؤال الذي يؤرّقني منذ انتهاء هذا المؤتمر: لماذا لا نهتم بتجارب الدول التي تماثلنا في الثقافة ومستوى المعيشة بدلاً من استيراد أفكار لا تناسب بيئتنا لنطبّقها عنوةً مهما كلفنا ذلك من مال وجهد، ومن دون جدوى حقيقية في نهاية المطاف؟! هل من مجيب؟!


الغالبون

# المتحف الحربي:

## لمحات من التاريخ العسكري السوداني

**حوى النبي علي صالح**
الخرطوم – السودان

**حملت أوراقي واتجهت صوب المتحف الحربي وأنا متردد؛ فكل المؤسسات والمباني العسكرية مكتوب عليها ممنوع الاقتراب والتصوير، وسرتُ في طريقي حتى وصلت إلى البوابة الكبرى، وقابلت عدداً من الحراس الشباب الذين أحسنوا استقبالي، ودلّوني على الطريق. دخلتُ إلى فناء المتحف وأنا في طريقي لمقابلة الإدارة، وفي هذا الفناء الكبير يرقد عدد من المدافع ذوات العجلات الحديدية وهي هادئة مستكينة بعد أن كانت تثير الرعب والهلع في قلوب الناس، وقد تكون هذه الكتل الحديدية الصماء قد حصدت أرواح مئات البشر، بل الألوف قبل أن يطويها النسيان وترقد هادئةً في هذا الفناء الواسع؛ فقد شارك بعضها في تحرير الخرطوم حين دخلها الإمام المهدي فاتحاً في ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م، وشارك بعضها الآخر في الحروب الأخرى التي خاضها الجيش السوداني، سواء أكان ذلك في الحرب العالمية الأولى أم الثانية؛ فقد كانت هذه المدافع أسلحةً متطورةً بمنظور ذلك العهد، وهي التي صنعت الفارق، وأبطلت مفعول الشجاعة والجسارة، وأخضعت البلاد والعباد لحكم المحتلين الغزاة.**

اتخذت طريقي إلى مكتب سعادة اللواء الركن الدكتور عمر النور أحمد النور – مدير إدارة المتاحف والمعارض والتاريخ العسكري – واستقبلني الرجل بحفاوة بالغة، وأمر أن تذلّل لي كل الصعاب، وأوكل هذه المهمة إلى الرائد الشاب متوكل عبدالرازق سيد أحمد – مدير إدارة المعارض، ومدير تحرير مجلة المتحف الحربي – فوفر لي كل ما طلبته من معلومات، بل زوّدني بمعلومات من عنده حتى أنجزت ما جئتُ من أجله.

### شيء من التاريخ

قبل التجول في المتحف نتجول في تاريخ الجيش السوداني؛ لإعطاء نبذة عن ظروف تشكيله.

يرتبط تاريخ قوة دفاع السودان والجيش السوداني الحالي ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الجيشين: التركي المصري الذي غزا السودان عام ١٨٢١م، والمصري الحديث الذي قام على أنقاض الجيش الذي تمّ حلّه عام ١٨٨٣م بعد احتلال بريطانيا مصر؛ فقد كانت الكتائب (الأورط) الستّ التي تتكوّن من السودانيين في الجيش المصري في ثمانينيات القرن التاسع عشر هي النواة الأولى التي قام عليها الجيش السوداني فيما بعد.

### أسباب تكوين قوة دفاع السودان

منحت اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر، التي وُقّعت في ١٩ يناير عام ١٨٩٩م، بريطانيا الوصاية على السودان بناءً على حق الفتح، فمع أن الفتح قد تمّ باسم مصر، وتحمّلت الخزينة المصرية أغلب نفقات الحملة، إضافةً إلى دور الجنود

المصريين في هذه العملية، إلا أن بريطانيا أضحت هي الشريك الغالب والمسيطر على كل الأمور في السودان.

وكان مهندس هذه الاتفاقية هو اللورد كرومر، وكان يهدف إلى تحقيق عدة أهداف من توقيع هذه الاتفاقية، منها: أن تكفل هذه الاتفاقية السيطرة التامة على شؤون السودان، وأن ترضي بعض الأماني المصرية المستندة إلى حق مصر الثابت في إدارة شؤون السودان، وكذلك إبعاد السياسة التركية وما تبعها من تطبيق نظام الامتيازات، إضافةً إلى إضعاف معارضة الرأي العام العالمي الذي أحدثته بريطانيا في حكم السودان، وإتاحة الفرصة لإلقاء الأعباء المالية والعسكرية على عاتق الخزانة المصرية.

وكان أهم بنود تلك الاتفاقية هو ما يخصّ تعيين الحاكم العام للسودان؛ إذ نصّت الاتفاقية على أن يكون الحاكم العام بريطانياً يعيّن بمرسوم خديوي، ولا يُنقل إلا بموافقة بريطانيا. والحاكم العام هو الرئيس الفعلي للسودان؛ إذ هو رئيس السلطتين التشريعية والتنفيذية، وفي الوقت نفسه هو سردار الجيش والقائد الفعلي له.

ولم تكن بريطانيا مرتاحةً لوجود القوات المصرية في السودان، خصوصاً بعد ثورة ١٩١٩م المصرية، وقد جاءت أول إشارة إلى ذلك في تقرير ملنر عام ١٩٢٠م؛ فقد جاء فيه أن وجود جيش كبير في السودان كان لزاماً لإتمام الفتح، لكن الوقت قد حان لإعادة النظر في مسألة القوات العسكرية في البلاد، وتنظيمها، وتخفيف العبء المالي الواقع على عاتق مصر من إبقائها هناك.

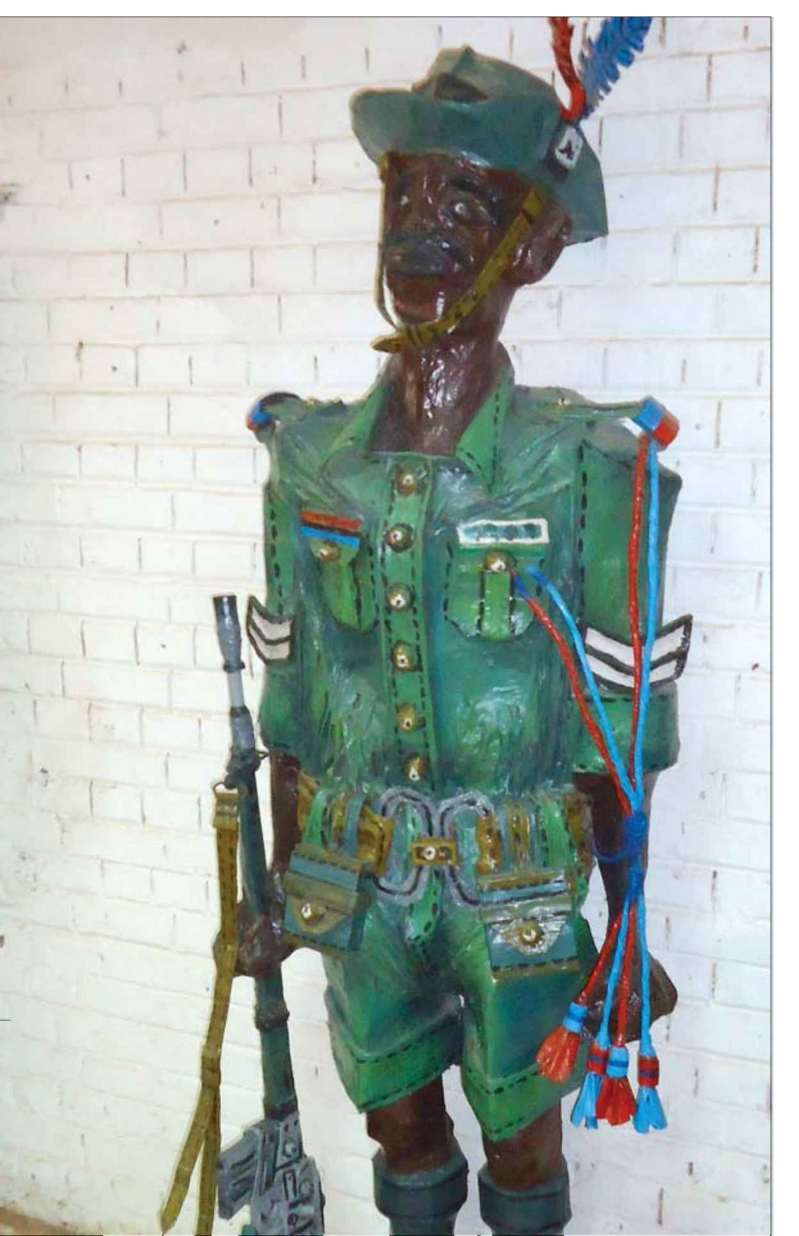
وجاء مقتل السير لي ستاك في القاهرة في ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤م لتجد بريطانيا مسوّغاً معقولاً لإجلاء الجيش المصري من السودان؛ فقد أرسل اللنبي -المندوب السامي البريطاني في القاهرة- إنذاراً للحكومة المصرية يطلب منها عدة مطالب، منها أن تصدر الحكومة المصرية خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بإرجاع جميع الضباط المصريين والقوات المصرية البحتة من السودان، وأردف الإنذار بمذكرة أخرى أخطر فيها الحكومة المصرية بأنه بعد سحب الضباط المصريين والوحدات المصرية من السودان ستحوّل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصري إلى قوات مسلحة سودانية تكون خاضعةً وموالية للحكومة السودانية وحدها، وتحت القيادة العليا للحاكم العام، وباسمه تصدر البراءات للضباط.

وقد رفضت حكومة سعد زغلول باشا تنفيذ بعض مطالب الإنذار البريطاني، واستقالت في ٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٤م، وخلفتها حكومة جديدة بقيادة أحمد زيور باشا، الذي قبل تنفيذ كل المطالب البريطانية تحت شعار (إنقاذ ما يمكن إنقاذه).

---

- جندي من قوة دفاع السودان عام ١٩٥٢م:

وهو مجسّم لتجسيد زيّ ضباط صف قوة دفاع السودان، ويتكوّن من: عمة، وجبة، وحزام، ورواء، وقالشين، وشبط، ويحمل الجندي في يده سلاح أبو عشرة، إضافةً إلى حزام يضع فيه الذخيرة.



## المدرسة الحربية

كانت المدرسة الحربية قد افتتحت في المرحلة الأولى في عهد السير ونجت باشا في ١٦ مايو عام ١٩٠٥م، وتخرّجت فيها أول دفعة عام ١٩٠٧م، ثم توالى تخريج الدفعات حتى عام ١٩٢٤م عندما قتل السير لي ستاك، وتبع ذلك مظاهرة الطلبة الحربيين؛ مما أدى إلى إغلاق المدرسة الحربية ومحاكمة الطلبة الحربيين محاكمات عسكرية. وبعد إنشاء قوة دفاع السودان حاولت الحكومة البريطانية سد النقص الناتج من إغلاق المدرسة الحربية بتعيين ضباط من الصفوف، ثم عادت وفتحت المدرسة الحربية مرةً أخرى عام ١٩٢٥م.

وفي منتصف الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ظهرت متغيرات وتحالفات جديدة بين الدول الأوربية، وظهرت إيطاليا قوةً جديدةً ذات أطماع استعمارية، وتريد اللحاق بمن سبقها لتأخذ نصيبها من المستعمرات في إفريقية، فقامت باحتلال الحبشة عام ١٩٣٦م، وبدأت تحرّكاتها تزداد في شمال إفريقية وعلى حدود مصر الغربية. وأحسّت بريطانيا بالخطر يقترب منها، فعملت على تحديث قوة دفاع السودان وتطويرها، من قوة من المشاة غير نظامية إلى قوة من المشاة منظمة تعاونها وحدات حديثة؛ كي تستطيع صد أيّ هجوم محتمل على السودان حتى وصول القوات الملكية من الخارج؛ فقد كانت بريطانيا حريصةً كل الحرص على ألاّ يضيع السودان منها؛ لما يتمتع به من موقع إستراتيجي؛ فعبر السودان تمرّ خطوط الإمداد عن طريق البحر الأحمر للقوات البريطانية في الشرق الأقصى والشرق الأدنى، وعبر الأجواء السودانية تمرّ كل الرحلات الجوية البريطانية إلى الشرق وجنوب إفريقية، إضافةً إلى إمكانية استعمال المطارات السودانية قواعد لسلاح الجو الملكي البريطاني لضرب قوات المحور في الشرق الأوسط.

بجانب ذلك كانت لبريطانيا مصالح اقتصادية حيوية في السودان، تتمثّل في: بنائها خزان سنار الذي بلغت تكلفته نحو خمسة عشر مليوناً من الجنيهات الإسترلينية، وإنشائها مشروع الجزيرة الذي يعدّ حتى الآن من أكبر المشروعات الزراعية في قارة إفريقية، وكان هذا المشروع يدرّ مئات الملايين من الجنيهات الإسترلينية لدعم الاقتصاد البريطاني، بجانب توفير القطن



• أحد أفراد قوة دفاع السودان:
تمّ في هذه الحقبة تقسيم الجيش السوداني إلى فرق عسكرية متعددة، منها: فرقة العرب الغربية، وفرقة العرب الشرقية، وفرقة العرب الشمالية، وفرقة العرب الاستوائية، وقد أعطيت كل فرقة زياً خاصاً مختلفاً عن الفرق الأخرى، خصوصاً في لفّ العمة.

**تتمثّل أهم أهداف المتحف في: تسجيل تاريخ القوات المسلحة وتوثيقه منذ أقدم العصور، وإجراء البحوث والدراسات في مجال الآثار والتاريخ العسكري**

**كانت بريطانيا حريصةً كل الحرص على ألاّ يضيع السودان منها؛ لما يتمتع به من موقع إستراتيجي**

طويل التيلة للمصانع البريطانية لصناعة الملابس.

وعندما نشبت الحرب بين إيطاليا وبريطانيا وقف السودانيون مع بريطانيا في حربها مع إيطاليا، وكان الجيش السوداني عند حسن الظنّ به؛ فقد أظهر من البطولات ما حير الأعداء والأصدقاء، ووقف سداً منيعاً أمام تقدّم الجيوش الإيطالية عند الحدود الشرقية مدة ستة أشهر، حتى وصول قوات الحلفاء وزوال الخطر الذي كان يهدد السودان. ولكي نلمّ بطرف من بطولات هذا الجيش العريق كان لابد لنا من زيارة المتحف الحربي الذي يوثّق لجزء من بطولات هذا الجيش، ويحكي طرفاً من تاريخه، فهلمّ بنا إلى هذه السياحة السريعة.

## النشأة والتطور

في البداية كان المتحف الحربي شعبةً تابعةً لإدارة فرع البحوث العسكرية، التي أُنشئت عام ١٩٨١م بغرض دراسة التاريخ العسكري وتوثيقه، وكانت تسمّى حينها (شعبة التاريخ العسكري)، وفي عام ١٩٨٨م وُضعت اللبنات الأولى لقيام المتحف الحربي؛ إذ صدرت مذكرة من قائد فرع التنظيم بقيام متحف حربي يتبع في المرحلة الأولى إدارة البحوث العسكرية، على أن يكون مستقلاً في المستقبل وحدةً قائمةً بذاتها، مع تخصيص موقع مناسب يتم تشييد البناء عليه.

وفي عام ١٩٩٦م، وبعد انقضاء ستة أعوام من عمر الإستراتيجية الشاملة الرامية إلى تطوير القوات المسلحة ورفع كفاءتها في كل المناحي، جرت الاتصالات بجميع المختصين بأمر المتاحف للبدء بإنشاء هذا الصرح الذي يعوّل عليه كثيراً في أداء الدور المنوط به، وفي عام ١٩٩٨م افتتح المتحف في مقره بالقيادة العامة، وتم تعيين العميد ناجي عبدالنبي أول مدير له، والعقيد آنذاك عمر النور نائباً له.

وفي مطلع عام ٢٠٠٦م، وتبعاً لهيكلة القوات المسلحة، تبع المتحف الحربي إدارة التوجيه المعنوي في شكل شعبة تحت إشراف السيد نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة، وفي العام نفسه خرج المتحف الحربي من القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة إلى مدرسة الصيانة (سابقاً). وكان هذا المبنى يتكون من قلعة محصّنة على شكل حدوة حصان محمية بمدفعين مضادين للطيران، إضافةً إلى أبراج مراقبة، وكان يحتوي أيضاً على زنزانات، ومشانق، ومكاتب إدارية.

وفي مطلع عام ٢٠٠٧م أصدر السيد وزير الدفاع قراراً بفصل المتحف الحربي عن إدارة التوجيه المعنوي؛ ليصبح إدارةً قائمةً بذاتها، سُمِّيت بـ(إدارة المتاحف والمعارض والتاريخ العسكري)، وكان الغرض من ذلك إيجاد وعاء جامع لحفظ تراث القوات المسلحة وتوثيقه وعرضه؛ إذ يشكّل المتحف الحربي دار وثائق قائمة بذاتها لحفظ الموروثات العسكرية.

وفي مطلع عام ٢٠١٢م انتقل المتحف إلى مقرّه الدائم بالخرطوم بحري، والموقع الجديد يتكون من مبانٍ أثرية بُنيت في عهد الحكم الثنائي، تتكون من عدة هناكر بمساحات واسعة، وكان هذا المبنى تشغله في السابق مصلحة النقل الميكانيكي التي تختصّ بصيانة العربات الرئاسية، وعربات الدولة. وبعد تأميم النقل الميكانيكي، وتسريح منسوبيه، تبع المبنى ولاية الخرطوم، ثم بعد ذلك تبع القوات المسلحة، إلى أن تمّ اختياره أخيراً ليكون مقراً لإدارة المتاحف والمعارض والتاريخ العسكري.

ويقود العمل حالياً في المتحف فريق من ضباط وضباط صفّ وجنود مؤهلين تأهيلاً علمياً وأكاديمياً في مختلف التخصّصات حتى النادرة منها، كما يصدر المتحف دوريةً بلغت من عمرها ستة عشر عاماً، وصدر عددها الأخير رقم (٣٧) في الفاتح من يناير عام ٢٠١٣م، وجاء الموضوع الرئيس في هذا العدد عن (سلاح الإشارة)، وهو سلاح متميّز له تاريخ زاخر بالعطاء في مصفوفة القوات المسلحة السودانية.

## المتحف الحربي: رؤية وهدف

تتمثّل أهم أهداف المتحف في: تسجيل تاريخ القوات المسلحة وتوثيقه منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا، وإجراء البحوث والدراسات في مجال الآثار والتاريخ العسكري للمساهمة في تطوير الدراسات المرتبطة بتاريخ السودان القومي وقضاياه، وجمع الآثار العسكرية من أسلحة ومعدات وآليات ووثائق تاريخية وحفظها، وبث الوعي والتوجيه والإرشاد المتحفي بغرض توعية المواطن بتاريخ وطنه، وتثقيف العسكريين والوطنيين وتنويرهم بإنجاز قواتهم المسلحة، والقيام بمعارض متحرّكة في الولايات تعكس التراث


العددان ٤٤٥ - ٤٤٦ / رجب - شعبان ١٤٣٤هـ



العسكري، وتسجيل ذكريات قدامى المحاربين؛ وهذا يساعد على حفظ التاريخ العسكري ويدعم الوثائق العسكرية، ودراسة تاريخ القوات المسلحة السودانية وتنظيمه وتطويره. ويتكوّن المتحف من قسمين رئيسين، يضم كل منهما عدداً من الأجنحة:

**القسم الأول:**

- صالة العرض الداخلي:

وهي من مهام شعبة المعارض والإعلام، وقد سُمِّيت هذه الصالة باسم اللواء أحمد محمد حمد الجعلي أول قائد عام للجيش السوداني الذي تمّت على يديه سودنة القوات المسلحة، وهو أول ضابط سوداني يترقى إلى رتبة فريق، وكان قد تخرج مهندساً معمارياً في كلية غردون، ثم التحق بالمدرسة الحربية، وتولّى قيادة الجيش في ١٩٥٤/٨/١٤م. وقسمت الصالة أربعة أجنحة، أطلق على كلّ جناح اسم أحد قادة القوات المسلحة السودانية الذين كان لهم دور بارز في قيادة الجيش السوداني.

- جناح الأميرلاي زين العابدين حسن الطيب عمر:

ولد زين العابدين في حي الهاشماب بأم درمان، وتخرج في المدرسة الحربية عام ١٩٤٠م، وقاد عدة معارك في الحرب العالمية الثانية في كدن ومصوع في إريتريا، وفي شمال إفريقية، وهو مؤسس المتحف الحربي وأحد كبار مستشاريه.

ويختصّ هذا الجناح بالتوثيق لقادة القوات المسلحة السودانية منذ مُددٍ بعيدة، وأول ما يقع عليه نظرك وأنت تدخل هذا الجناح صورة لختم كبير للسلطان علي دينار،

- أسلحة بيضاء (سيوف، وسوانكي، ودروع، وخوذ):

هناك جانب من الأسلحة البيضاء التي تشمل بعض السيوف الحديدية، والدروع الواقية للبطن والظهر، كما تظهر بعض الخوذات التي تمثّل من خلال تصميمها العهود المسيحية والإسلامية في تاريخ الدولة الإسلامية.




**يحتوي المتحف على مجموعة من الأسلحة الأثرية المختلفة، شارك بعضها في تحرير الخرطوم عام ١٨٨٥م**

**الذهب والرجال كانا من الأسباب الحقيقية التي حملت محمد علي باشا على غزو السودان عام ١٨٢١م**

وهو أحد سلاطين الفور المشهورين، وصورة للإمام المهدي قائد الثورة المهدية، وأخرى للخليفة عبدالله التعايشي -خليفة الإمام المهدي- وهو يستعرض بعض قواته، وصورة للشاعر أحمد محمد صالح مؤلف النشيد الوطني السوداني، الذي كان عضواً في مجلس السيادة عقب الاستقلال عام ١٩٥٦م، وتقول أبيات النشيد:

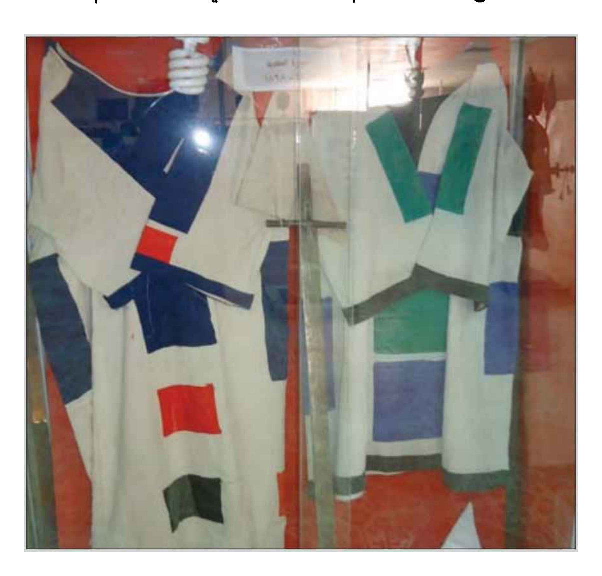
نحن جند الله جند الوطن
إن دعا داعي الفدا لن نخن
نتحدى الموت عند المحن
نشتري المجد بأغلى ثمن
هذه الأرض لنا
فليعش سوداننا علَماً بين الأمم
يا بني السودان هذا رمزكم
فاحملوا العبء واحموا أرضكم

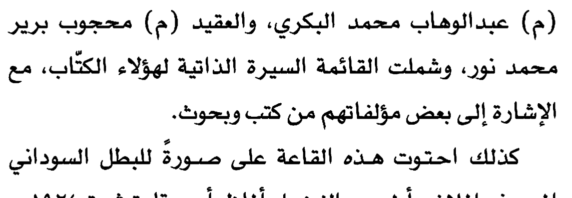
كذلك يلفت نظرك في هذه الصالة صور لعدد كبير من الجنود البريطانيين وهم يركبون القطار في طريقهم إلى بلادهم بعد أن نال السودان استقلاله من بريطانيا عام ١٩٥٦م، وهو ما يُعرف بـ(الجلاء)؛ أي: جلاء البريطانيين عن السودان ورحيلهم إلى بلادهم. وتُوجد بالقرب من هذه الصور صورة من وثيقة تسلّم الفريق أحمد محمد باشا -أول قائد للجيش السوداني- زمام القيادة من آخر قائد للقوات البريطانية في السودان الجنرال إسكونز.

ويشمل الجناح أيضاً صوراً من حقبة الاستقلال، ويظهر الرئيس إسماعيل الأزهري في مناسبات مختلفة، وكذلك الفريق إبراهيم عبود، والرئيس جعفر محمد نميري، والمشير عبدالرحمن سوار الذهب، والمشير عمر حسن أحمد البشير. ويوثّق الجناح أيضاً لعدد من الجنود في مناطق القتال، إضافةً إلى خرائط توضّح مشاركة القوات المسلحة السودانية على النطاق العربي والإفريقي. وكذلك يضم الجناح صوراً للسادة للذين تقلّدوا منصب وزير الدفاع الوطني من مدنيين وعسكريين، بدءاً من السيد خلف الله خالد (١٩٥٤/١/٩- ١٩٥٥/١١/١٦م) حتى الآن، ثم قائمة تضم عدداً من الكتّاب والأدباء الذين برزوا في صفوف القوات المسلحة السودانية، منهم: الأميرالاي زين العابدين حسن الطيب عمر، والرائد (م) عصمت حسن زلفو، واللواء الركن (م) محمود عبدالرحمن الفكي، والعميد الركن

• مدفع الماكسيم:
مدفع بريطاني الصنع، دخل السودان مع حملة إعادة فتح السودان بقيادة اللورد كتشنر عام ١٨٩٨م، وهو من الأسلحة الحديثة جداً في ذلك الزمان، وقد أثبت فعاليةً كبيرةً في معارك كتشنر باشا مع الثورة المهدية، حتى أشار إلى أهميته في المعارك اللورد ونستون تشرشل في كتابه (معركة النهر)، فذكر أن فعالية هذا السلاح هي من هزم الثورة المهدية (١٨٨٥- ١٨٩٨م).

• أزياء تاريخية:
تحوي قاعة الأزياء بالمتحف الحربي زياً يمثّل السلطنة الزرقاء (١٥٠٥- ١٨٢١م)، وهي السلطنة الإسلامية التي قامت في أعقاب انهيار دولة الأندلس، وقد قامت هذه السلطنة بتحالف بين قبائل عرب القواسمة وقبائل الفونج الزنجية، وأهم ما يميّز هذا الزي هو الطاقية أم قرينات.





(م) عبدالوهاب محمد البكري، والعقيد (م) محجوب برير محمد نور، وشملت القائمة السيرة الذاتية لهؤلاء الكتّاب، مع الإشارة إلى بعض مؤلفاتهم من كتب وبحوث.

كذلك احتوت هذه القاعة على صورةً للبطل السوداني المعروف الملازم أول عبدالفضيل ألماظ أحد قادة ثورة ١٩٢٤م، التي استشهد فيها مع نفر كريم من ضباط وضباط صف وجنود سودانيين، وكذلك هناك صورة لأول أسير سوداني في الحرب العالمية الثانية، وهو البكباشي البدري.

أما مشاركة القوات المسلحة في حكم السودان، فقد جاءت في لوحة ضخمة ضمّت الرؤساء العسكريين الذين تعاقبوا على حكم السودان منذ الاستقلال، وهم: الفريق إبراهيم عبود (١٩٥٨/١١/١٧- ١٩٦٤/١٠/٢١م)، والمشير جعفر محمد نميري (١٩٦٩/٥/٢٥- ١٩٨٥/٤/٦م)، والمشير عبدالرحمن سوار الذهب (١٩٨٥/٤/٦- ١٩٨٦/٤/٦م)، والمشير عمر حسن أحمد البشير (١٩٨٩/٦/٣٠م حتى الآن).



- الأوسمة والأنواط السودانية:

نصل في تجوالنا داخل هذه الصالة إلى قائمة كبرى تحتوي على القلائد والأوسمة وأنواط الجدارة التي تُمنح في مناسبات مختلفة؛ لنجد تفاصيل هذه الأوسمة وشروط استحقاقاتها، فمثلاً:

- قلادة الشرف: وهي أرفع درجة بين كل الأوسمة والأنـواط، ويختصّ بها رئيس الدولة، ويجوز إهـداؤهـا لرؤساء الدول الأجنبية.
- وشاح الشرف: ويُمنح عند أداء الخدمات الجليلة للدولة، على ألاّ يزيد عدد الممنوحين الوشاح على (١٥) شخصاً على قيد الحياة.

أما الأوسمة فهي كثيرة ومتعددة، نذكر منها:

- وسام ابن السودان البار: ويُمنح للذين يتفانون في الدفاع عن مصالح الوطن والتضحية والتعرض للخطر لإعلاء شأن الدولة، وهناك كثير من الأوسمة التي تُمنح في مناسبات



- قنبلة كلتوم:

قطعة أثرية نادرة، وهي قنبلة طيران، وقد استمدت تسميتها من اسم امرأة (كلتوم)، وهو النطق العامي للاسم العربي (أم كلثوم). ولهذه القنبلة قصة طريفة؛ ففي أثناء الحرب العالمية الثانية بين دول المحور ودول الحلفاء في معارك في شرق إفريقية كان الطيران الإيطالي يقصف مدينة كسلا في شرق السودان (على الحدود مع دولة إريتريا الآن)، وكان القصف يتمّ في ساعات الصباح الباكر يومياً، وكانت هناك امرأة تجلب اللبن (كلتوم) على حمار لها من ضواحي المدينة لتبيعه داخل المدينة، وفي أثناء رحلتها المعتادة رمى الطيران الإيطالي هذه القنبلة على المدينة، لكن شاءت إرادة الله ألاّ تنفجر، ووقعت كتلة صماء وقتلت الحمار، ومنذ ذلك الزمن صارت حدثاً للتندّر في أوساط المواطنين، فصاغوا فيها أشعاراً للتعريض بالقوات الإيطالية، ورفع همة المقاتلين السودانيين في تلك الحرب، فتقول بعض أبيات تلك القصيدة التي أصبحت جزءاً من الفلكلور السوداني:

الطيارة جات بتحوم (تحوم: تتجوّل)

دايرة تضرب الخرتوم (الخرطوم)

ضربت حمار كلتوم

ستّ اللبن (بائعة اللبن)

- بنادق السلطان علي دينار:

مجموعة من البنادق الشخصية للسلطان علي دينار آخر سلاطين سلطنة دارفـور (١٨٩٨- ١٩١٦م)، وهـي مزيّنة بحلية من الفضة والنحاس، وعليها نقوش كتابات إسلامية وبعض الزخارف.





مختلفة للسودانيين والأجانب، منها: وسام الثور، ووسام الصمود، ووسام الدستور، ووسام الإنجاز العسكري، ووسام الجمهورية، ووسام النيلين.

وهناك عدد من الأنواط التي تُمنح لضباط وضباط صف القوات المسلحة السودانية، نذكر منها: نوط الجلاء، ونوط الاستقلال، ونوط الواجب، ونوط الشجاعة، ونوط الخدمة الطويلة الممتازة، ونوط الجدارة.

كذلك نجد قائمةً أخرى تحتوي على شعارات وحدات القوات المسلحة المختلفة، وتحمل هذه الشعارات بعض المضامين للمهامّ التي تؤديها هذه القوات ضمن منظومة القوات المسلحة السودانية، وتضم القائمة أكثر من ثمانين شعاراً، منها مثلاً: شعار إدارة الأمن والاستخبارات، وشعار إدارة الصيانة والإصلاح، وشعار الحرس الجمهوري، وشعار إدارة الشرطة العسكرية، وشعار إدارة المرافق الإستراتيجية، وشعار إدارة الطائرات العمودية، وغير ذلك من شعارات الوحدات المختلفة.

**في البداية كان المتحف الحربي شعبةً تابعةً لإدارة فرع البحوث العسكرية، التي أُنشئت عام ١٩٨١م بغرض دراسة التاريخ العسكري وتوثيقه**

**في مطلع عام ٢٠٠٦م تبع المتحف الحربي إدارة التوجيه المعنوي في شكل شعبة**

- جناح الفريق ركن الفاتح محمد بشير بشارة:

تخرج بشارة في الكلية الحربية عام ١٩٢٢م، ثم التحق بكلية القادة والأركان ببريطانيا (كامبرلي) عام ١٩٦٦م، وكان سفيراً للسودان في المملكة العربية السعودية، ونال وسام الملك عبدالعزيز، ووسام الملكة فيكتوريا، وعمل سفيراً معتمداً في

منظمة المؤتمر الإسلامي، ومحافظاً مناوباً في البنك الإسلامي ثم حاكماً لإقليم كردفان.

يضم هذا الجناح الأسلحة بشقيها: الأبيض، والناري، إضافةً إلى أسلحة التصنيع الحربي الحديث في السودان، وهي أسلحة دفاعية في مجملها. وعند دخولك هذا الجناح أول ما يقابلك في خزائن العرض عدد كبير من الدروع الواقية للظهر والبطن يعود تاريخها إلى العهد الإسلامي، كذلك يوجد في الخزائن نفسها عدد من الخوذات التي يرجع تاريخها إلى العهد الروماني، ثم أسلحة شخصية للسلطان علي دينار، وهي تتكوّن من عدد من البنادق المختلفة الأشكال والأحجام، وهناك أيضاً عدد من السوانكي، والسيوف، والحراب الأثرية.

والسلطان علي دينار هو أحد أشهر سلاطين دولة الفور الإسلامية التي قامت في دارفور في القرن الخامس عشر الميلادي، واستمرت أكثر من خمسمئة عام. ناصر السلطان علي دينار المهدية، وعند اضطراب الوضع في أم درمان، وتأكّد لقاء الأنصار مع الغزاة في كرري، خرج عشية يوم ١٨٩٨/٩/٢م مع عدد غفير من أتباعه متوجّهاً إلى دارفور من أجل إقامة سلطة مستقلة بها، واستطاع فرض سيطرته على كل دارفور بحدودها المعروفة، كما استطاع أن ينتزع اعترافاً من الحكومة الإنجليزية عام ١٩٠١م بسيادته على دارفور مقابل جزية مقدارها خمسمئة جنيه لم يدفعها السلطان طوال فترة حكمه، متعلّلاً بأن دارفور ورثت الفقر من أيام المهدية، ولا تحتمل فرض ضريبة جديدة على الأهالي. وقد أعاد السلطان إعمار كثير مما خرّبته الحروب المتتالية التي وقعت في هذه السلطنة، وبسط العدل، وحكم بالشريعة الإسلامية. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، وقف السلطان علي دينار مع الخليفة العثماني بوصفه رمزاً لوحدة المسلمين، حتى قتله الإنجليز في السادس من نوفمبر عام ١٩١٦م.

وغير بعيد من ذلك نجد مجموعةً من مدافع مكسيم وفكرس تقول لوحتها التعريفية: إنها اشتركت في الحرب العالمية الثانية، وتوضح اللوحة: اسم السلاح، وبلد المنشأ، والطول، والوزن، والسرعة الابتدائية، وغير ذلك من المعلومات التعريفية بهذا النوع من الأسلحة.

ونصل إلى خزانة أخرى من خزائن العرض، فنجد أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من البنادق الأثرية يزيد عددها على العشرين، ويسمى هذا النوع من البنادق (لي أنفيلد)، ويطلق عليه في السودان أبو عشرة، وتقول اللوحة المثبتة بجانبه: إن هذا السلاح قد صُنع في بريطانيا عام ١٩١٦م، ويبلغ وزنه ٣،٧١كجم، وطوله ١١٣٠مم.

وتحتوي هذه القاعة أيضاً على مجموعة من الأسلحة الأثرية المختلفة، شارك بعضها في تحرير الخرطوم (عام ١٨٨٥م)، وشارك بعضها الآخر في الحرب العالمية الثانية، وكذلك هناك نماذج للتصنيع الحديث للمقارنة بين الماضي والحاضر.

- جناح اللواء ركن محمود عبدالرحمن الفكي:

تخرج الفكي في الكلية الحربية، وله عدد من المؤلفات في تاريخ القوات المسلحة، وعمل مديراً لقاعة الصداقة، وأحد مستشاري المتحف. وفي مدخل هذا الجناح يوجد مجسّم يجسد المحارب في عهد الثورة المهدية وهو يرتدي الزي المهدوي بجانب أدوات الجهاد، ويبدأ الجناح بعرض تاريخي متسلسل لأربع حقب تاريخية مرّت على السودان، ويدعم بطابور عرض يبيّن نوع اللبس الذي ميّز إنسان كل حقبة من هذه الحقب، ويبدأ بحقبة السلطنة الزرقاء (١٥٠٥- ١٨٢٠م)، ثم يليها الحكم التركي

- المتطوعون السودانيون في حرب فلسطين:

صورة نادرة تظهر بعض المواطنين السودانيين وهم يحتشدون للمشاركة في حرب فلسطين على الرغم من الاحتلال الإنجليزي لبلادهم، وتثبت هذه الصورة مدى اهتمام الشعب السوداني بقضايا أمته العربية والإسلامية.



ثم نصل إلى لوحة توضح أسماء الرتب العسكرية في الجيش السوداني من أول رتبة، وهي ملازم ثانٍ، حتى رتبة فريق، وكذلك بالأمر بالنسبة إلى الجنود، التي تبدأ من (نفر) حتى رتبة (صول). وفي وسط صالة هذا الجناح نجد عدداً كبيراً من المجسمات توضح زيّ القوات المسلحة مُدداً متعددة من عمر القوات المسلحة السودانية، يوم كان نوع اللبس يحدد الفرقة التي ينتمي إليها الجندي.

- جناح عميد ركن (م) عبدالوهاب محمد البكري:

يضم هذا الجناح الإهداءات التي تلقّاها القائد العام للجيش السوداني من داخل السودان وخارجه، وتشمل هذه الهدايا: سيوفاً، ودروعاً، وميداليات، وخناجر، وكاسات.

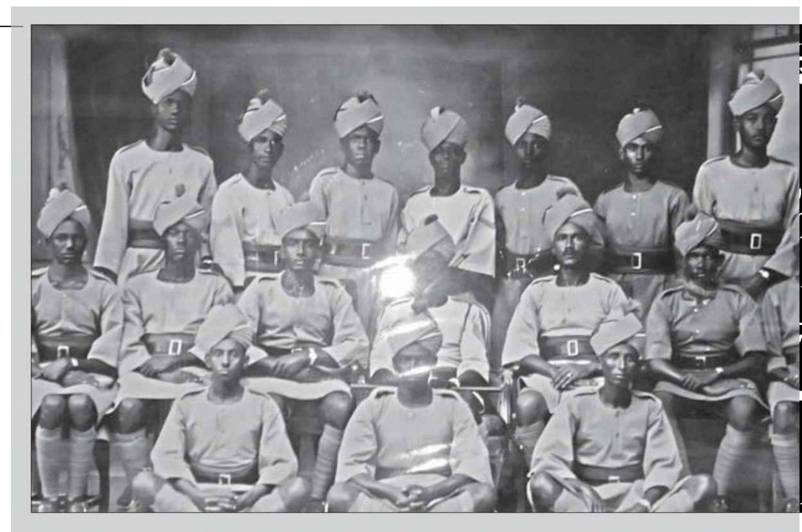
ويضم هذا الجناح أيضاً ملفات لبعض ضباط من قوة دفاع السودان تحتوي على تاريخ التجنيد، والإحالة على المعاش، كما تحتوي أيضاً على الأوراق الثبوتية، وشهادات التنقلات، إضافةً إلى الأرانيك المرضية، وشهادات الإجازات.

وفي هذا الجناح خُصِّص جزء بالشهيد الزبير محمد صالح يحتوي على مقتنياته الشخصية التي كان يستخدمها في حياته اليومية. ثم نصل بعد ذلك إلى معرض ملحمة الفداء التي توثّق لأحداث أم درمان التي حدثت عام ٢٠٠٨م، وتوضح آثار العدوان على ممتلكات المواطنين، والمرافق العامة، وصور لشهداء القوات المسلحة السودانية التي تصدّت لهذا العدوان الغاشم. وفي آخر فقرة عرضت في هذا الجناح نجد علَم وحدة الاستوائية الذي لم يسقط أبداً طوال حقبة التمرّد.

## القسم الثاني:

نحن الآن في الموقع السابق الذي كان يحتله المتحف الحربي قبل أن يرحل إلى موقعه الحالي، والمبنى في الحقيقة هو حامية الخرطوم العسكرية، التي أسّسها الأتراك في عام ١٨٢٦م؛ أي: بعد الغزو التركي للبلاد بخمسة أعوام، ثم ورثها الإنجليز من بعدهم، فوظفوها لمصلحتهم العسكرية، وإحكام السيطرة على البلاد.

صُمِّم هذا المبنى على شكل حدوة حصان، ويبلغ ارتفاعه من الأرض نحو ستة أمتار، ويبلغ سمكه أكثر من متر، وقد زُوِّد المبنى بمدفعين مضادين للطيران، يقع الأول في الجزء الجنوبي الشرقي، والآخر في الجنوبي الغربي، وقد وُضعت هذه المدافع



أول دفعة ضباط الجيش السوداني في الكلية الحربية السودانية عام ١٩٣٦م



- جندي يتبع لفرقة موسيقا قوة دفاع السودان:

وكانت الفرقة تشارك في كل الاحتفالات الرسمية، وفي استقبال الزوار، ويحمل أفراد الفرقة آلات موسيقية مختلفة الترانيم، من بينها آلات موسيقية خشبية يعزفون بها كثيراً من الألحان، منها السلام الجمهوري.

(١٨٢١- ١٨٨١م)، ثم حكم المهدية (١٨٨١- ١٨٩٨م)، وأخيراً الاستقلال في (١/١/١٩٥٦م).

وفي خزانة عرض تجاور هذه المعروضات نجد نماذج توضح شكل هذه الملابس؛ مثل: ملابس حقبة المهدية (جلابية على الله)، والملابس التي كان يستعملها ضباط وضباط صف وجنود قوة دفاع السودان (تسمية القوات المسلحة السودانية في بداية تأسيسها)، وهي: جبة، ورداء، وعمة، وكلنشين.

في اتجاه الجنوب؛ لأن الشمال كان مؤمّناً للحامية؛ إذ توجد مصفوفة كبيرة من الطوابير الحربية على طول نهر النيل في الجهة الشمالية، إضافةً إلى المجمع العسكري السكني الذي يُعرف بـ(البركس).

وترقد في جوانب أخرى من هذه الحامية أو القلعة العسكرية أربعة مدافع بغرض التأمين الداخلي، وهي موزّعة في شرق الحصن وغربه، ويقع اثنان منها في الجزء الجنوبي، وهذه المدافع نفسها محصنة بخنادق برميلية مصفحة لا يخترقها الرصاص، وتسمح في الوقت نفسه بمراقبة العدو والوقاية من نيرانه.

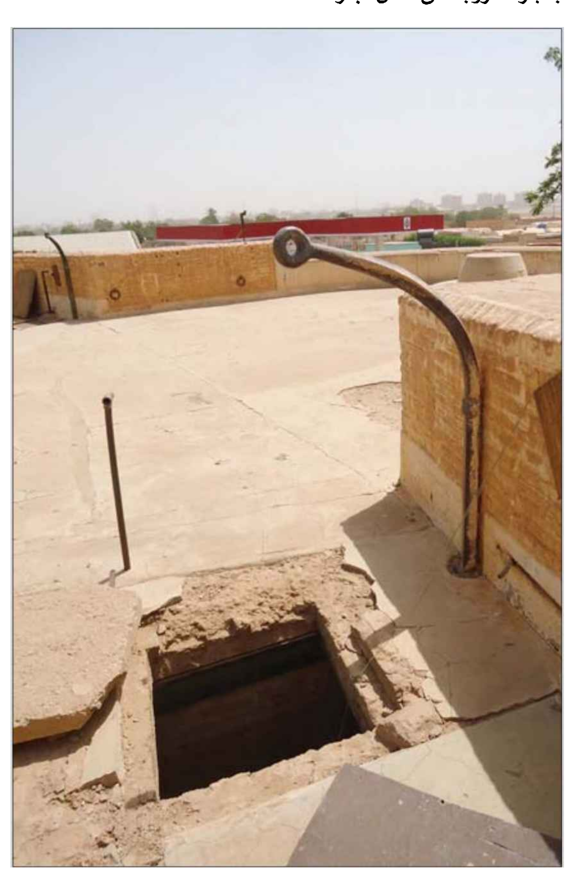
## المشانق والزنازين

ونتحرك قليلاً على سطح هذا المبنى لنجد عدداً من الفتحات المستطيلة تستعمل للتهوية وجلب الإضاءة، وقد عُرفت هذه الفتحات بـ(الهوّايات). ونستمر في سيرنا على السطح نفسه لنجد أنفسنا أمام منظر مرعب، وهو (المشانق) المنصوبة على هذا السطح. ولم تُنصب هذه المشانق للقتلة والمجرمين وقطاع الطرق، وإنما نُصبت لدعاة الحرية الذي يطالبون الاستعمار بالرحيل عن بلادهم. توجد مشنقتان (١) و(٢)، تحت كلّ مشنقة توجد بئر بها سلّم يصعد عليه المحكوم عليه بالإعدام ليجد نفسه أمام حبل المشنقة بمجرد خروجه من داخل البئر؛ فقد صُمِّمت تحت هذه المشنقة زنزانة كبيرة يُجمع فيها المحكومون بالإعدام في انتظار التنفيذ، وقبل تنفيذ الحكم بوقت قصير ينقل المحكوم عليه بالإعدام إلى غرفة صغيرة طولها متر، وعرضها متر، ولا يزيد ارتفاعها على قامة الشخص، وداخل هذه الغرفة يوجد السلّم الذي تحدثنا عنه ويصعد عليه المحكوم عليه بالإعدام ليواجه مصيره المحتوم.

وعلى بعد خطوات من هذه المشانق توجد منصة يصعد عليها القاضي الذي يأمر بتنفيذ الحكم الصادر بحق المُدان، وقد وضع هناك خط للحماية يتكون من سلاسل من الحديد تفصل بين القاضي والضحية، وضعت على مرحلتين حتى يكون القاضي في مأمن من أيّ تصرف قد يصدر من المحكوم عليه بالموت قبل التنفيذ.

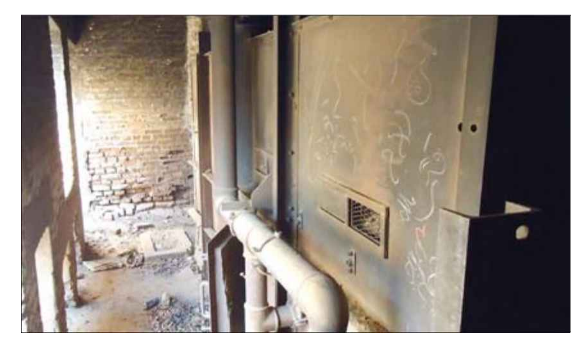
وننزل من سطح هذا المبنى العتيق المخيف لنصل إلى الزنازين الجماعية والانفرادية التي يُحبس فيها المتهمون قبل الحكم، ونصل إلى إحدى هذه الزنازين التي يقول عنها أحد المرافقين: إنها الزنزانة التي سُجن فيها الشهيد البطل علي عبداللطيف أحد قادة ثورة ١٩٢٤م، ورأيتُ -ويا لهول ما رأيت!!- للزنزانة أربعة أبواب، يفصل بين كل باب والآخر مساحة بسيطة أقلّ من نصف متر، ويصل سمك مبنى الزنزانة نحو ستة أمتار، وتتم تهويتها بواسطة فتحة (هوّاية) على شكل حرف الـ(L). دخلت الزنزانة وقد اقشعرّ بدني، وأغلق المرافقون الباب الرابع والأخير، فلم أكد أرى أصبعي الذي مددته أمام عيني في هذا الظلام الدامس، ولعنت الاستعمار في سرّي، وترحّمت على هذا

إحدى المشانق المنصوبة على سطح المتحف - تحت كل مشنقة تُوجد بئر بها سلّم يصعد عليه المحكوم عليه بالإعدام ليجد نفسه أمام حبل المشنقة بمجرد خروجه من داخل البئر






الفرن الذي استفاد منه الإنجليز في حرق كلّ الأدلة التي تدينهم وتكشف المآسي التي ارتكبوها في حق السودان وأهله



مدفع إيطالي di Napoli Fonderia 1886
من غنائم قوة دفاع السودان في معركة (كرن) في شرق السودان عام ١٩٤١م، وقد دارت هذه المعركة بين قوات الحلفاء (بريطانيا) في السودان وقوات المحور (إيطاليا) في الحبشة، وقد أبلت فيها القوات السودانية تحت التاج البريطاني آنذاك بلاءً حسناً، وهذه القطعة تقف شاهداً على تلك الأحداث.



الشهيد الذي حُبس في هذا الظلام الدامس.

وكان علي عبداللطيف فقد رتبته العسكرية بسبب رفضه تحية ضابط إنجليزي، ثم كتب مقالاً لإحدى الصحف بعنوان: (مطالب الأمة السودانية)، فاعتقل، وصدر عليه حكم بالتجريد من الرتبة والسجن عاماً، وبعد خروجه من السجن اشترك في تكوين جمعية اللواء الأبيض، وأصبح أول رئيس لها، ثم اعتقل مرة أخرى عام ١٩٢٤م، وحكم بالسجن ثلاث سنوات، وقد وصفته السلطات الإنجليزية بأنه (محرّض خطير وعنيد وماكر)، ونقل هذه المرة من سجن كوبر إلى سجن في رئاسة القوات البريطانية، وفي إبريل عام ١٩٢٥م -بعد هزيمة ثورة ١٩٢٤م- حُكم عليه بالسجن سبع سنوات؛ لتصل سنوات حكمه عشر سنوات، ونُقل هذه المرة إلى واو. وبعد انقضاء مدة سجنه لم يُطلق سراحه بحجة أن حالته العقلية خطيرة على العامة، وبقي في سجن كوبر ثلاث سنوات، ومنعت عنه الزيارة، ثم نُقل فجأةً في سرية تامة إلى مصر، وبقي هناك حتى وافته المنية في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٤٨م. وعند قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م أمر الرئيس محمد نجيب بنقل جثمانه من المقابر العادية التي دفن بها إلى مقابر الشهداء، وأقيم له حفل تأبين، ومنحت الحكومة المصرية زوجته معاشاً ظلّت تتقاضاه حتى وفاتها عام ١٩٨٧م.

وواصلنا سيرنا لنصل إلى أحد الأفران الحديدية العتيقة، وهو مُصمّم بطريقة توحي بأنه من مخلفات الاستعمار التركي، وأن الأتراك استعملوه في صهر الذهب وتنقيته؛ فالذهب والرجال كانا من الأسباب الحقيقية التي حملت محمد علي باشا على غزو السودان عام ١٨٢١م وهو يحلم ببناء إمبراطورية عظمى، ولما أفل نجم محمد علي، ووصل الأمر إلى الإنجليز، لم يفوّتوا الفرصة، فاستفادوا من هذا الفرن في حرق كلّ الأدلة التي تدينهم وتكشف المآسي التي ارتكبوها في حق السودان وأهله.

جمعت أوراقي ورجعت وأنا أحسّ بأني لم أوفِ هذا الموضوع حقه؛ فكل صورة، وكل لقطة، وكل قطعة سلاح، وكل جزء في هذا الصرح العملاق يستحق أن تُفرد له صفحات، وأن تكتب

فيه كتب؛ ففي ميدان القتال هناك رجال أظهروا من القوة والشجاعة ما أذهل حتى الأعداء أنفسهم، وفي مجال التكتيك الحربي وضع بعض القادة خططاً حربية تصلح أن تدرّس في أرقى الأكاديميات العسكرية في العالم، وفي مجال العلم هناك رجال حملوا اليراع بعد أن وضعوا السيف عن كاهلهم، ورفدوا المكتبة بكثير من الكتب والبحوث والدراسات في مختلف العلوم، وفي مجال الموسيقا ظهر كثير من الفنانين والموسيقيين الذين وظّفوا الفنّ لخدمة المجهود الحربي يُلهبون به حماسة الجنود وهم يخوضون المعارك دفاعاً عن دينهم ووطنهم، فليعذرني أولئك الذين صنعوا هذا التاريخ وكتبوه بدمائهم.



وفد ليبي يزور المتحف

## المراجع


(١) قوة دفاع السودان ودورها في الحرب العالمية الثانية، عقيد طيار محمد عثمان أحمد عبدالرحيم، أم درمان: المطبعة العسكرية، ١٩٩٠م.

(٢) الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان (١٩٣٦- ١٩٥٣م)، فيصل عبدالرحمن علي طه، أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني، ٢٠٠٤م.

(٣) شذرات من سجل التاريخ العسكري، عمر النور أحمد النور، الخرطوم: مطبعة الجودة، ٢٠١٢م، ج١.




وفد باكستاني



اللواء الركن الدكتور عمر النور أحمد النور مدير إدارة المتاحف والمعارض والتاريخ العسكري



االمحرر مع الرائد متوكل عبدالرازق سيد أحمد مدير إدارة المعارض أمام قنبلة كلتوم

# فانكا


أنطون تشيخوف
ترجمة: هاشم حمادي
دمشق – سورية


لم يأوِ فانكا جوكوف إلى فراشه عشية عيد الميلاد. إنه صبيّ في التاسعة من عمره، سُلِّم منذ ثلاثة أشهر إلى الإسكافي ألياخين ليتعلّم على يديه. لم يكد أهل البيت والصنّاع يذهبون إلى صلاة الفجر حتى أخرج فانكا من خزانة معلّمه دواةً وقلماً بريشة صدئة، وفرش أمامه ورقة مجعّدة. وقبل أن يخطّ الحرف الأول راح يتلفّت إلى الأبواب والنوافذ بخوف، وبطرف عينه نظر إلى الأيقونة المظلمة التي امتدت على جانبيها الرفوف المثقلة بالقوالب، ثم تنهّد بشكل متقطع. كانت الورقة ترقد على المقعد، أما هو فكان يقف على ركبتيه أمام المقعد، ويكتب: «جدي الحبيب قنسطنطين مكاريتش! أكتب إليك هذه الرسالة أهنئكم بعيد الميلاد، وأتمنى لك كلّ الخير بعون الله. ليس لديّ لا أب ولا أميمة، ولم يبقَ لديّ أحد سواك».

حول فانكا نظره إلى النافذة المظلمة، التي لاح عليها انعكاس ضوء الشمعة، وبكلّ وضوح ارتسمت في خياله صورة جده قنسطنطين مكاريتش، الذي عمل حارساً ليلياً لدى السادة من أسرة جيفاريف. إنه عجوز صغير نحيل، لكنه في منتهى الحيوية والنشاط، في نحو الخامسة والستين، باسم الوجه، ثم العينين. نهاراً ينام في مطبخ الخدم، أو يثرثر مع الطاهيات، أما في الليل فلا يكفّ عن التطواف حول المزرعة في معطفه الفضفاض المصنوع من جلد الحمل، ويقرع على دقاقته، ومن خلفه يسير مطأطئ الرأس الكلبة العجوز كاشتانكا، والكلب فيون الذي يحمل هذا اللقب بسبب لونه الأسود، وجسمه الطويل الشبيه بجسم ابن عرس. وفيون هذا في غاية التهذيب واللطف، ينظر بالرقة نفسها إلى أصحابه والغرباء عنه، لكن لا يُؤتمن جانبه؛ فتحت تهذيبه وطاعته يخفي الدهاء والمكر، لا أحد يبزّه في انتهاز الفرصة السانحة، ونهش ساق أحدهم، أو التسلّل إلى المخزن، أو اختطاف دجاجة من يد أحد الموجيك. أكثر من مرة كسروا له قائمتيه الخلفيتين، وشنقوه مرتين، وفي كلّ أسبوع كان يُضرب حتى يكاد يشرف على الموت، لكنه نجا من ذلك كله.

لا شك أن الجد يقف الآن لدى البوابة، ويضيق عينيه وهو ينظر إلى نوافذ كنيسة القرية الحمراء القانية، ثم يطبطب بجزمته اللبادية وهو لاهٍ بالثرثرة مع الخدم ودقاقته معلّقة على حزامه. إنه يلوّح

قصة

بيديه، ويهزّ جسمه من البرد، ولا يكفّ يقهقه كأيّ عجوز وهو يقرص الخادمة تارةً، والطاهية تارةً أخرى، ويسأل النسوة وهو يقدم إليهن علبة التبغ: ألا ترغبن في أخذ شمة من التبغ؟! وتشم النسوة، ثم يعطسن. عندها يشعر الجد بسرور لا يُوصف، ويطلق ضحكةً مرحةً، ثم يقول: انفضيه فقد تجمّد. ويعطي التبغ للكلبين ليشمّاه. وبينما تعطس كاشتانكا، وتدير بوزها، ثم تبتعد غاضبةً، فإن فيون لا يعطس أدباً، ويلوح بذيله. الطقس في منتهى الروعة، والهواء هادئ ونقيّ ولطيف، والليل حالك السواد، ومع هذا تبدو القرية كلها بأسطحها البيضاء، وأعمدة دخانها المنبعث من المداخن، والأشجار المفضضة بالندى الثلجي والكثبان. السماء كلها مرصعة بالنجوم المتلألئة، ودرب التبان يرتسم بوضوح، كما لو أنه غسل عشية العيد، وفرك الثلج.

أطلق فانكا زفرة، وبعد أن غمس الريشة في المحبرة استأنف الكتابة: «البارحة أكلت علقةً ساخنةً. لقد جرّني المعلّم من شعري إلى الفناء، ثم ضربني بالقضيب؛ لأنني غفوت عن غير قصد وأنا أهزّ ابنهم في غرفة الخدمة. ومنذ أسبوع أمرتني ربة البيت بتنظيف سمكة الرنجة، فبدأت بتنظيفها من ذيلها، فما كان منها إلا أن أخذت السمكة، وراحت تدسّ رأسها في وجهي. ثم إن المتدربين لا يكفّون يسخرون مني، ويرسلونني إلى الحانة لجلب الفودكا، ويأمرونني بسرقة الخيار من بيت المعلّم، الذي يضربني بكلّ ما يقع بين يديه.

أما الطعام فلا وجود له، في الصباح يعطونني الخبز، والعصيدة عند الظهيرة، وفي المساء يقدمون الخبز أيضاً. أما بالنسبة إلى الشاي وحساء الملفوف، فهما من نصيب أصحاب البيت وحدهم. أمرت بالنوم في غرفة المدخل، وحين يبكي طفلهم لا أنام أبداً، بل أبقى ساهراً أهزّ السرير له. جدي العزيز! اعمل معروفاً لوجه الله، وخذني من هنا إلى البيت، إلى القرية، لا أستطيع التحمّل، أتوسل إليك، سوف أصلّي لله من أجلك دائماً. خذني من هنا وإلا سوف أموت ....».

لوى فانكا فمه، ومسحه بقبضته السوداء، ثم أجهش بالبكاء، وتابع الكتابة: «سوف أبرش لك التبغ، وأصلي للرب من أجلك، وإذا ما أذنبت فاضربني من دون رحمة. وإذا كنت تعتقد أن لا عمل لي فسوف أتوسل إلى الخولي أن أنظف حذاءه، أو قد أذهب للرعي بدلاً من فيدكا. جدي العزيز! لا حيلة لديّ، لم يبقَ أمامي إلا الموت وحده. لقد خطر لي أن أعود إلى القرية سيراً على قدمي، لكن لا جزمة عندي، ثم إنني أخاف الصقيع. وحين أصبح كبيراً سوف أطيعك لقاء ذلك،



ولن أسمح لأيّ أحد بالإساءة إليك، وبعد موتك سأصلي من أجل راحة روحك، كما أصلي من أجل أمي بيلاجيا. أما موسكو، فهي مدينة كبيرة، وكلّ بيوتها فخمة، والخيول فيها كثيرة، ليس فيها أغنام، والكلاب فيها أليفة. الأولاد هنا يعملون، ولا يسمح لهم بالغناء في جوقة الكنيسة. ذات مرة رأيت في نافذة أحد الدكاكين كثير من الصنارات ذات الخيوط لصيد كلّ أنواع السمك، يا لها من صنارات ممتازة، حتى إن إحداها يمكن أن تحمل سمكة قرموط زنة بود كامل، كما رأيت دكاكين فيها البواريد المختلفة الخاصة بالأسياد، ولا شك أن ثمن كل منها مئة روبل. وفي دكاكين اللحوم تجد البط البري والحجل والأرانب، لكن في أيّ الأماكن يصطادونها، هذا ما لن يخبرك به الباعة. جدي الحبيب! حين سيقيم السادة شجرة عيد الميلاد المزدانة بالهدايا خذ لي جوزة مذهّبة، وخبئها في الصندوق الأخضر، اطلبها من الآنسة أولجا إيجناتيفنا، قل لها: إنك تأخذها لفانكا».

أطلق فانكا زفرةً عميقةً، وراح يحدق في النافذة من جديد. لقد تذكّر أن جده كان يصطحبه إلى الغابة كلما ذهب لجلب شجرة عيد الميلاد للسادة. كم كان ذلك رائعاً! فالجد يتنحنح، والصقيع يتنحنح، وفانكا يتنحنح أسوةً بهما. وكان يحدث أن يقوم الجد قبل قطع الشجرة بتدخين الغليون، وشم التبغ، والسخرية من فانيوشكا البردان، وغير بعيد تنتصب أشجار الشوح المدثرة بالندى الثلجي، وهي تنتظر بصمت على من منهن سيقع الاختيار لتموت. وعلى حين غرة يندفع عبر الكثبان الثلجية أرنب يمرق كالسهم، فلا يملك الجد نفسه من أن يصيح في إثره: امسكه، امسكه، امسكه، يا للشيطان الأبتر.

كان الجد يجرّ الشجرة إلى بيت السادة فيبدؤون بتزيينها، وكانت الآنسة أولجا إيجناتيفنا -محبوبة فانكا- الأكثر نشاطاً وإقبالاً على العمل. حين كانت أمه بيلاجيا لا تزال على قيد الحياة، وتعمل وصيفةً لدى السادة، كانت الآنسة أولجا إيجناتيفنا تقدم الحلوى لفانكا، ولما لم يكن لديها ما تعمله فقد علّمته القراءة والكتابة والعدّ إلى المئة، حتى إنها علّمته رقصة الكارديل. وبعد وفاة بيلاجيا نقل فانكا إلى مطبخ الخدم حيث جده، ومن المطبخ أرسل إلى موسكو، إلى الإسكافي ألياخين.

وتابع فانكا: «تعال يا جدي الحبيب، أستحلفك بالله أن تأخذني من هنا. ارثِ لحالي، أنا اليتيم المسكين. الجميع يضربونني، وأنا في أشد اللهفة إلى الطعام، ثم يا له من ملل لا يطاق، فتراني لا أكفّ عن البكاء. البارحة ضربني المعلّم بالقالب على رأسي، إلى حدّ أنني وقعت، ولم أثب إلى رشدي إلا بصعوبة. يا لحياتي كم هي بائسة! إنها أسوأ من حياة أيّ كلب.. تحياتي إلى ألينا وإلى يغوركا الأعور والحوذي. أما بالنسبة إلى الهارمونيكا، فلا تعطها أحداً. حفيدك إلى الأبد إيفان جوكوف. تعال يا جدي الحبيب».

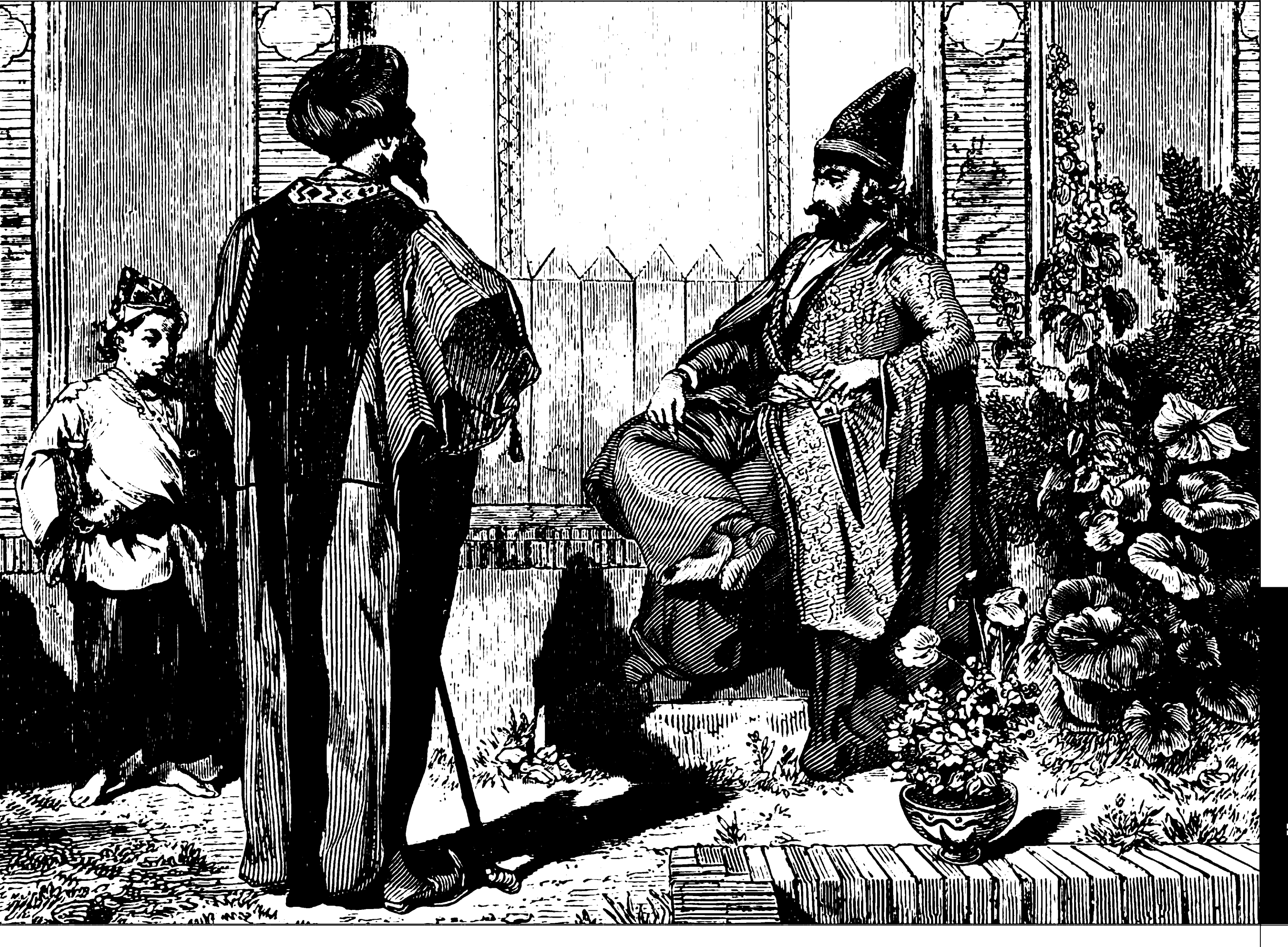
طوى فانكا الورقة المكتوبة مرتين، ثم وضعها في ظرف كان قد اشتراه البارحة بكوبيك، وبعد أن فكّر ملياً غمس الريشة، ثم كتب العنوان: إلى قرية جدي. بعد ذلك حكّ رأسه قليلاً، ثم أضاف: «قنسطنطين مكاريتش». ومن شدة فرحه أن أحداً لم يضايقه في أثناء الكتابة ارتدى قبعته، واندفع إلى الخارج في قميصه دون أن يرتدي معطفه القصير.

كان الباعة في دكان اللحوم، الذين استفسر منهم البارحة، قد أخبروه أن الرسائل توضع في صناديق البريد، ومنها تنقل إلى كلّ بقاع الأرض في عربات البريد التي يقودها الحوذيون السكارى، وتنطلق بأجراسها الرنانة. وصل فانكا أول صندوق بريدي جرياً، وألقى رسالته الثمينة في فتحته.

وبعد ساعة راح في سبات عميق على هدهدة الأحلام الحلوة، وفي المنام رأى المدفأة، وجده جالس فوقها، وقدماه متدلّيتان، وهو يقرأ الرسالة على الطاهيات، وبالقرب من المدفأة يسعى فيون وهو يحرّك ذيله.

## الهوامش

- فانكا صيغة التدليل من اسم إيفان.
- الموجيك: الفلاح.
- فيدكا: صيغة التدليل من اسم فيدور.
- بود: وحدة وزن روسية قديمة تعادل ١٦,٣٨كجم.
- فانيوشكا: صيغة التدليل من اسم إيفان.
- الكارديل: رقصة شعبية وباليه.
- يغوركا: صيغة التدليل من اسم يغور.



دراســـة

# الدبلوماسية في الإسلام والعصر الحديث

نشأت العلاقات الدولية منذ أن نشأت الجماعات البشرية وقامت القبائل وتطورت وعرفت الحرب والسلم والصفقات التجارية، ونستطيع أن نقول: إن هذه العلاقات قديمة قدم وجود الإنسان، وتطور المفهوم الحديث إلى علاقات بين الدول.



منصور عثمان محمد زين
الخرطوم – السودان

لكننا في عصرنا الحاضر نجد أن الدبلوماسية من أهم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، خصوصاً في وقت السلم؛ لأنها ترمي إلى إقامة السلم، وصيانة السلام العالمي، وهي وسيلة الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الدول ورعاية مصالحها المشتركة، ومن هنا لابد لنا من الاهتمام بدراستها، ومعرفة أصولها ومفهومها وتطورها حتى يومنا هذا؛ لنتعرّف التطور التاريخي والموضوعي للدبلوماسية[١].

ونهدف هنا إلى تناول المعلومات والبيانات المتعلقة بالدبلوماسية في الإسلام والعصر الحديث، وإقامة مقارنة علمية، وما يجب أن تكون عليه من ممارسة عملية حسب ما ورد في نصوص الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول.

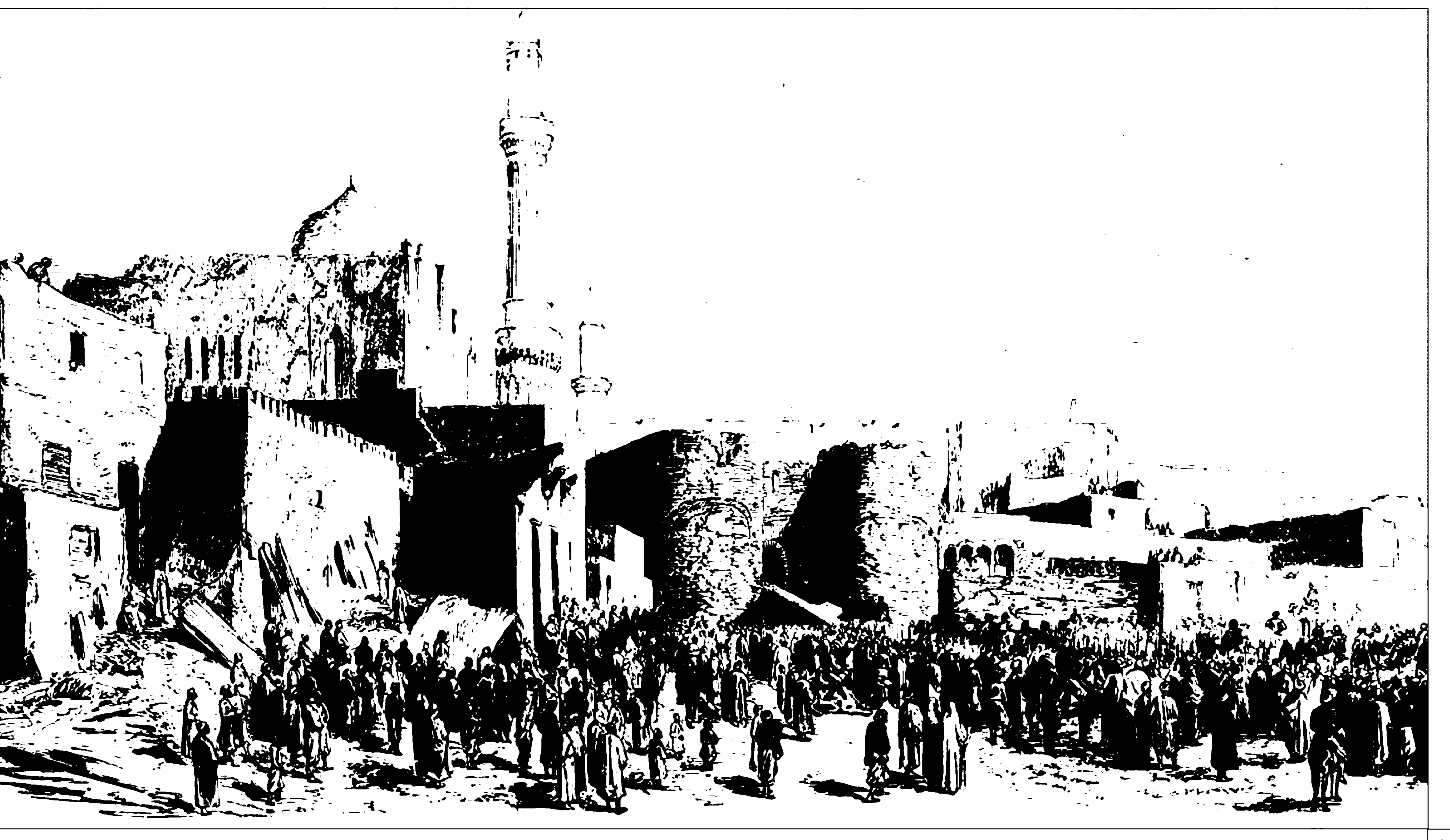
## الدبلوماسية عند العرب في العصور القديمة

ظهرت مفاهيم الدبلوماسية عند العرب منذ القدم؛ إذ حفلت الحضارة العربية بالنظم السياسية المتطورة على مختلف العصور، وكان لتعدّد الأنظمة السياسية في الوطن العربي ومجاورتها حضارات أخرى أثر كبير في العلاقات والاتصالات الدبلوماسية بين هذه الأنظمة، وتوثيقها، وتوثيق العلاقات الاقتصادية والسياسية، وعقد الأحلاف العسكرية بينهم.

## الدبلوماسية عند العرب في الإسلام

شهدت الدبلوماسية عند العرب بعد الإسلام تطوراً ملحوظاً؛ فقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية وسيلةً رئيسةً لنشر الدين الإسلامي، وإبلاغ الدعوة إلى الدول والأقوام الأخرى، واستخدام الرسل لهذا الغرض، كما اهتم بالرسل الأجانب الذين يفدون إليه، فكان صلى الله عليه وسلم يستقبلهم ويرعاهم ويكرمهم. وقد اتّبع الخلفاء الراشدون أثر النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتماد على الدبلوماسية لنشر الدين الإسلامي والاتصال بالأقوام الأخرى، خصوصاً بعد تشعّب الدولة الإسلامية، واتساع رقعتها، وبخاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ قاربت آسيا الصغرى، وجاورت الروم. وفي العصر الأموي تربّصت كلّ منها بالأخرى على الرغم من الاعتراف والاحترام المتبادل من كلّ طرف للآخر، وأصبحت الدبلوماسية وتبادل السفراء بديلاً من الحرب. لقد كان لابد من استخدام الدبلوماسية لحلّ المنازعات الدولية الناشئة بينهما، حتى ازدادت البعثات الدبلوماسية، وأقيمت علاقات متطورة بين هذه القبائل لتوثيق العلاقات الاقتصادية والسياسية، وعقد الأحلاف العسكرية بينها، وضمنت للمهمة التي يقوم بها الأشخاص الذين يُوفدون بين تلك الدول الحصانة الدبلوماسية اللازمة؛ ليكونوا في منأى عن أيّ اعتداء قد يتعرضون له في أثناء أداء المهمة المكلفين بها؛ فقد منح العرب الرسول حصانةً دبلوماسيةً لم تعترف بها المجتمعات والحضارات الغربية في مختلف العصور، ولم يقرّها المجتمع الدولي المعاصر إلا في بداية هذا القرن وفي نطاق محدود؛ إذ ظهرت ممارسات تقضي منح الرسول الأجنبي بعض الحصانات الدبلوماسية. وتنطلق حماية الرسل عند العرب من الأخلاق العربية، وهو أمر ثابت، ويعدُّ جزءاً من أصالة الأمة العربية، لدرجة ذهب فيها الباحثون إلى أن (حماية الرسل قانون قبلي عند العرب)[٢].

وكان للدبلوماسية في العصر العباسي الدور الملحوظ في



توفيق العلاقات الثقافية والتجارية؛ فكانت الوفود والسفارات المنظمة تخرج من بغداد -موطن أهل الفكر والصناعة والتجارة والفن- حاملةً العطايا المقدمة من الخليفة، وكانت تنهي مهمتها بعقد معاهدة بين الدولة السياسية والدولة الموفدة إليها تلك الوفود والسفارات. وثمة دور آخر للدبلوماسية في هذا العصر، هو استخدامها وسيلةً لتحقيق التوازن الدولي. وتحقيقاً لهذه الموازنة في السياسة الدولية وجدت السفارات بين بغداد والفرنجة لعقد أواصر الصداقة في سبيل مصالحها المشتركة التي توّجت أخيراً بتبادل السفارات بين هارون الرشيد وشارلمان؛ إذ أرسل الإمبراطور شارلمان سفارةً إلى الخليفة هارون الرشيد عام ٧٩٧م، وردّ عليه الرشيد أيضاً بسفارة إسلامية ثانيةً عام ٨٠٧م، وكانت مهمات السفارة الأولى تقوية أواصر الصداقة بين الجانبين، أما الثانية فكانت بهدف عقد تحالف يؤمّن مصلحة الطرفين ضد مناوئيهما دولة بيزنطة ودولة الأمويين في الأندلس[٣].

## مذاهب الدبلوماسية

هناك مذهبان للدبلوماسية، هما:

- المذهب الميكافيللي: وهو مذهب تبريري، ويستخدم كلّ القيم الإنسانية أدوات لتحقيق الأهداف المبتغاة، والوصول إلى المقاصد.
- المذهب الأخلاقي: وهو مذهب يقوم على المبادئ والقيم، ويؤمن بنظرية give and take (أعطِ وخُذْ)، ويعتمد هذا

**دبلوماسية المعونات هي دبلوماسية تستخدم فيها دول الشمال سياسة المعونات لتؤثّر في دول العالم الثالث**

المنهج على الإسلام بوصفه جوهر العلاقة الإنسانية، ويتجنب الحرب، لكن مذهب السلام هذا لا يعني التسليم أو الوهن أو الضعف، وتقتضي الحكمة أن يقترن بالقوة تمشياً مع المنطق القائل: (إذا رغبت في السلم فاستعد للحرب)[٤].

## أسس الدبلوماسية الإسلامية

من أهم تلك الأسس أنها ذات طابع إنساني؛ فقد كان عطاء الدولة الإسلامية للشعوب التي تتعامل معها، وكذلك المبعوث المسلم أو السفير الإسلامي، يقوم على ذلك المبدأ؛ فلا تعصّب ولا استعلاء، لكن الجميع إخوة. وتلتزم الدبلوماسية الإسلامية الحقائق التي تقوم على الحكمة والنزاهة، بعيداً من المآرب الشخصية، والأطماع المادية؛ فالدبلوماسية في نظر السفير المسلم هي العدالة، وهي إعطاء كل ذي حق حقه. والدبلوماسية الإسلامية مأخوذة من مفهوم الكتاب والسنة؛ لذلك يكمن فيها الإبداع والاتساع والتسامح، والإبقاء على روح التبادل السلمي[٥].

## أهداف الدبلوماسية الإسلامية

تتمثّل أهداف الدبلوماسية الإسلامي في الآتي:

- التعاون: فهي تتسم بالمرونة في إقامة العلاقات مع غيرها من الدول، وتتأصل في تعاملها مبادئ الحرية والإخاء والمساواة.
- دعم السلام والحرب: فقد كانت الدبلوماسية الإسلامية في أوج قوتها تدعم أغراض السلام والحرب، بوصف ذلك جزءاً لا يتجزأ من شريعة الجهاد.
- نشر الدعوة الإسلامية: إذ كان نشر الدعوة الإسلامية وتوسيع نطاقها هو الهدف الأول للسفارات الإسلامية، ولاسيما في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية.
- الدعوة إلى اللغة العربية: لأن اللغة العربية هي لغة الإسلام، ولغة دستوره، وهو القرآن الكريم.
- الفداء وتبادل الأسرى: كانت من الجوانب المهمة التي قصدت إليها السفارات الإسلامية عملية فداء الأسرى بمال أو نحوه، أو إطلاق سراحهم مقابل إطلاق عدد من أسرى الأعداء.
- الهدف والصلح: قام السفراء والرسل في الدولة الإسلامية بمهمة التفاوض لعقد معاهدات الصلح بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.
- إصلاح ذات البين: قامت السفارات الإسلامية بمهمة جليلة، وهي محاولة رأب الصدع في الصف الإسلامي، وتقريب وجهات النظر بين المتنازعين، وإجراء المصالحات بين ملوك الإسلام.
- التهنئة والتعزية: كانت السفارات الإسلامية تؤدي إلى جانب دورها ومهامها الكثيرة مهمة التهنئة والتعزية.

لقد قرّر الإسلام حصانة المبعوثين الدبلوماسيين منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لرسولي مسيلمة الكذاب: «لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما»، وهذا الأمر أعطى الإسلام أسبقية من الناحيتين الزمنية والموضوعية، بينما نجد أن أقدم قانون صدر في هذا الشأن يرجع إلى ما يقرب من قرنين من الزمان؛ فقد قرّر مساعد وزير الخارجية الأمريكي أن قانون عام ١٧٠٨م الصادر في إنجلترا هو أول اعتراف بالحصانات الدبلوماسية في القانون الأنجلوسكسوني[٦].

## عقد الأمان

هو عقد يقتضي ترك القتل والقتال مع الكفار، وعدم استباحة دمهم أو مالهم أو استرقاقهم، والتزام الدولة الإسلامية تحقيق حالة الأمن والحماية لمن يلجأ إليها من هؤلاء الحربيين، واستقرّ تحت حكمها الإسلامي مدةً محدودةً –أي: مؤقتة– لا تزيد على سنة قمرية. وعقد الأمان يجعل المستأمن كالذمي في الأمان، بيد أنه غير مطالب بدفع ضرائب الدولة الداخلية، وينعته بعض الدارسين بأنه تصرّف قانوني تنتج منه آثار مهمة لحياته وحريته وأمواله في دار الإسلام؛ إذ يمكنه من ممارسة كل أنواع الأنشطة التي لا يحرمها القانون.

## أنواع الأمان

- أمان الفرد غير المسؤول من عامة الناس: وهو ما يبذله المسلم من المقاتلة لواحد أو مجموعة محصورين؛ فلكل مسلم من المقاتلة حق هذا التأمين الخاص؛ لأن الضرورة قد تقتضيه، وتكون فيه المصلحة للمسلمين، ويمكن



**تطوّرت الدبلوماسية من مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م حتى الحرب العالمية الأولى؛ فقد شكّل ذلك المؤتمر تحولاً إيجابياً في تاريخ تطور الممارسة الدبلوماسية**



لكلّ مقاتل أن يقدّر هذه المصلحة الجزئية، ويعمل على تحقيقها من دون حاجة إلى الرجوع إلى الإمام أو نائبه؛ فهو يصحّ من كل فرد مسلم بالغ عاقل مختار، ذكراً كان أو أنثى، حراً كان أو عبداً، وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وابن القاسم وأكثر أهل العلم، وقد رُوي ذلك عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

- أمان الفرد المسؤول الذي يتمتع برئاسة الدولة: ويمكن أن تنعته بأمان (الإمام أو نائبه)، وقد كان هذا التقليد الإسلامي استشرافاً لحياة فاضلة، وإعداد الجماعة المسلمة لها، وقد منح الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان للأفراد، ومنحه للجماعات؛ فقد جاء في سيرة ابن هشام أن العباس بن عبدالمطلب -عم الرسول صلى الله عليه وسلم- قال يوم فتح مكة: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فأجعل له شيئاً؟ قال: «نعم، من دخل دار أبا سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن تعلّق بأستار الكعبة فهو آمن». وانتهى ذلك بأن قال لأهل مكة: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؛ فهذا أمان من رئيس الدولة وهي في أوج عزّها وسلطانها واتساع فتوحاتها.

- الأمان المؤقت العام: وهو ما يكون لجماعة غير محصورين؛ كأهل ولاية، كما في الهدنة، وهذا حق لا يملكه إلا الإمام ونائبه؛ لأن المصلحة العامة من شؤونه، وكذا النظر فيها، وهو الذي يُرجع إليه في تقدير الضرورة القاضية بالكفّ عن القتال في مدة معينة، والنظر فيها على وجه صحيح. وأصل هذا الأمان المؤقت العام صلح الحديبية؛ إذ كان من موادّ ذلك الصلح الكفّ عن القتال عشر سنين، وقد أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لما كان يقدّره من المصلحة العامة في هذا الكفّ عن القتال.

- الأمان المؤبد: وهو ما يكتب في عقد الذمة، ويتولى هذا العقد من الدولة الإسلامية الإمام أو نائبه.
- الأمان العرفي: إذا بعث الحربيون مبعوثاً منهم إلى إمام المسلمين أو نائبه في دار الإسلام من دون أن يحصل هذا المبعوث على إذن ورخصة أمان مسبقة بالدخول فيعدُّ هذا المبعوث أو السفير آمناً إذا أثبت أنه مبعوث فعلاً؛ كأن يبرز رسالة ملكهم أو أميرهم؛ لأن الرسالة حق الأمان. وكان ذلك تقليداً جاهلياً، ثم جاء الإسلام فزاده توثيقاً وتأكيداً، وفي ذلك يقول أبو يوسف: «إن الولاة إذا ما لاقوا رسولاً يسألونه عن اسمه، فإن قال: أنا رسول الملك، بعثني إلى ملك المسلمين، وهذا كتاب معي، وما معي من الدواب والمتاع والرقيق هدايا له، فإنه يُصدَّق، ولا سبيل عليه، ولا يُعترض له، ولا لما معه من المتاع والسلاح والمال».

## الدبلوماسية في العصر الحديث

تطوّرت الدبلوماسية من مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م حتى الحرب العالمية الأولى؛ فقد شكّل مؤتمر فيينا تحولاً إيجابياً في تاريخ تطور الممارسة الدبلوماسية؛ إذ انبثقت عن المؤتمر معاهدة فيينا في العام نفسه، التي بلورت التعامل القائم، ونظّمت قضايا الأسبقية، وترتيب درجات المبعوثين التي كانت مصدراً للنزاعات،

**منح العرب المبعوث حصانةً دبلوماسيةً لم تعترف بها المجتمعات والحضارات الغربية في مختلف العصور**

**كانت الدبلوماسية الإسلامية في أوج قوتها تدعم أغراض السلام والحرب، بوصف ذلك جزءاً لا يتجزأ من شريعة الجهاد**

وأصبح من خصائص الدبلوماسية في هذه المرحلة:
- أصبح المبعوثون الدبلوماسيون يمثّلون دولهم، وليس ملوكهم أو رؤساء الدول.
- أصبحت البعثات الدبلوماسية أجهزةً رسميةً تتبع الدولة، وهي المؤسسة المختصة بالشؤون الخارجية.
- تطورت الدبلوماسية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى؛ إذ كانت الدبلوماسية تتّسم بالسرية في معظم نشاطها، كما كانت محدودة النطاق، فبدأت تتغيّر تحت تأثير التغيرات الجديدة التي حدثت في المجتمع الدولي، وظهور قوى سياسية جديدة، وقيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م، وكشف قادتها الالتزامات السرية للحكومة القيصرية، وإعلانهم رفض هذه الالتزامات.
- إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون مبادئه الأربعة عشر في يناير ١٩٦٨م، التي تدعو إلى انتهاج الدبلوماسية العلنية، وظهر ذلك في ميثاق عصبة الأمم.
- بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقيام منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، ظهرت بعض التطورات المتقدمة؛ فبدأ العمل على تقنين موضوع العلاقات والحصانات الدبلوماسية، وتمّت صياغة اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في ٤ إبريل ١٩٦١م، ثم اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية عام ١٩٦٣م.

لقد تطورت الدبلوماسية موضوعياً، وتميّزت بسرعة تطورها لتساير متطلبات العصر المتغيرة، وقد مرّت الدبلوماسية بعد الحرب العالمية الثانية بتطورات جذرية فرضها مسار التاريخ المعاصر والثورات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية؛ فانتهى نظرياً عصر الدبلوماسية السرية التي كانت تعتمد على سرية الاتفاقات والمعاهدات كما حدث بين الغرب وروسيا القيصرية، وظهرت أهم أنواع الدبلوماسية[٧].

## أنواع الدبلوماسية

- الدبلوماسية الشعبية:

وتقوم بها الوفود الطلابية أو العمالية أو الفنية أو الرياضية بهدف عرض الأفكار الصحيحة عن بلدهم، وإحداث تقارب

عن غير طريق السياسيين أو الدبلوماسيين.

- الدبلوماسية البرلمانية:

وهي التي يقوم بها أعضاء البرلمانات ولجانها للدول الأخرى بهدف توثيق العلاقات، وشرح القضايا، وكسب الرأي العام عن طريق برلمانات الدول الأخرى وشعوبها.

- دبلوماسية المعونات:

وهي دبلوماسية تستخدم فيها دول الشمال سياسة المعونات لتؤثّر في دول العالم الثالث، إما بالعطاء وإما بالحرمان من المنح؛ لعدم معارضة أهداف الدول المانحة وسياستها.

- دبلوماسية البوارج والأساطيل الحربية:

وهي دبلوماسية استعراض القوة واستخدامها، كما حدث مع حشد لأساطيل أمريكا وحلفائها في الخليج العربي بعد أن غزا العراق الكويت، ثم ما تبع ذلك من استخدام أسلحة هذه الأساطيل وطائراتها في الهجوم على القوات العراقية.

- دبلوماسية المكوك:

وتعتمد على تنقّل الدبلوماسيين، خصوصاً وزراء الخارجية، بأنفسهم لمقابلة أطراف النزاع عدة مرات خلال مدة قصيرة.

- دبلوماسية المؤتمرات:

ظهرت المؤتمرات في عصرنا الحاضر بوصفها منتديات للمفاوضة والمساومة بدلاً من القاعات المغلقة، وأصبحت من أهم وظائف الدبلوماسية الحديثة، ويكون هدف المؤتمر إنهاء عمل معين في حيز محدود من الزمن وحيّز محدود مكانياً، وهو مقرّ المؤتمر.

- دبلوماسية القمة (مؤتمرات القمة):

هي الاجتماعات التي يحلّ فيها رؤساء الجمهوريات والملوك والأمراء محلّ السفراء لأداء أهم وظيفة من وظائف الدبلوماسية، وهي المفاوضات. وأدى التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال إلى تكرار مؤتمرات القمة؛ بسبب سهولة التحرك السريع للرؤساء.

- الدبلوماسية السرية:

هي الدبلوماسية التي تتم بعيداً من السلطات المختصة والمسؤولة في سرية تامة، وقد طبّقها هنري كيسنجر -وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية- لتحسين العلاقات بين أمريكا والصين، فقام بإرسال رسائل سرية عبر الرئيس أيوب خان رئيس باكستان في ذلك الوقت.

ولم يأخذ التمثيل الدبلوماسي في العصور الحديثة صورةً

## المقارنة بين الدبلوماسية في الإسلام والدبلوماسية الحديثة

**يمكننا من خلال المقارنة بين الدبلوماسيتين أن نخلص إلى النتائج الآتية:**

- تبدو العلاقات الدولية قديمةً قدم الإنسانية، وتطور مفهومها الحديث إلى العلاقات بين الدول، وأن لكلّ دولة الحق في وضع سياستها الخارجية التي تخدم مصالحها وأهدافها، وتحدد الأدوات التي تحقق تنفيذ هذه السياسة.
- الدبلوماسية من أهم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، خصوصاً في وقت السلم.
- الدبلوماسية في العصر الحديث تطوّرت تطوراً ملحوظاً بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م، وأصبح من خصائصها أن المبعوثين الدبلوماسيين أصبحوا يمثّلون دولهم.
- أعضاء السلك الدبلوماسي هم مجموعة من الأشخاص يشغلون درجات دبلوماسية معينة وفقاً للوائح كل دولة، ووفقاً للقوانين الدولية أيضاً.
- تتمثّل مهام البعثة الدبلوماسية في عدة جوانب، منها: التمثيل، وحماية مصالح الدولة، والتفاوض، وجمع المعلومات.
- شهدت الدبلوماسية عند العرب بعد الإسلام تطوراً ملحوظاً؛ فقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية وسيلةً رئيسةً لنشر الدين الإسلامي.
- مرّت الدبلوماسية في الحضارة العربية والإسلامية بثلاث مراحل، هي: مرحلة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ومرحلة الدولة الأموية في بلاد الشام، ومرحلة الدولة العباسية.
- تُبنى أهداف الدبلوماسية الإسلامية على التعاون، وتتسم بالمرونة في إقامة العلاقات مع الدول، وتتأصّل الدبلوماسية الإسلامية في مبادئ الحرية والإخاء والمساواة.
- تتمثّل الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الإسلام في حصانة المبعوثين الدبلوماسيين، ثم عقد الأمان مع الكفار.
- الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في العصر الحديث هي محصّلة حقوق ومزايا خاصة تمنح للدبلوماسيين الأجانب، والبعثات الدبلوماسية في الدولة المستقبلة، وتتضمن حماية البعثات والمقرات الدبلوماسية، وإعفاء الموظف الدبلوماسي من الخضوع لولاية القضاء الوطني، والإعفاء من الضرائب والجمارك، كما يتمتع المبعوث الدبلوماسي ومقرّ البعثة بالحماية والحصانة الكاملة.

واحدةً، بل تعدد وتنوّع بحسب طبيعة العلاقات بين الدول وتباينها باختلاف الزمان والمكان؛ فهناك البعثات الدبلوماسية الخاصة، والبعثات الدبلوماسية غير المقيمة، والتمثيل القائم على الاعتماد المتعدد، والتمثيل العام. ولا شك أن الصورة الأولى تشكّل امتداداً لما كان عليه الحال في العصور القديمة والوسطى؛ إذ كانت الدولة ترسل بعثةً مؤقتةً في مهمة معينة إلى دولة أخرى كلما تطلب الأمر ذلك، ولا تزال الحاجة تقتضي أحياناً إرسال بعثات خاصة إلى الخارج في مهام محددة. والصورة الثانية تعبر عن تطور العلاقات الدبلوماسية بين الدول؛ فقد جاءت نتيجةً لتزايد المصالح بين الدول وتشابكها وتعقدها. أما البعثات الدبلوماسية غير المقيمة، فهي تعني أن هذه العلاقات بسيطة وفي مراحلها الأولى؛ مما يعني عدم وجود مسوّغ لتبادل البعثات الدائمة[8].

## تكوين البعثة الدبلوماسية

تتكوّن البعثة الدبلوماسية من مجموعة من الموظفين تحدد القوانين واللوائح الداخلية الإجراءات المتعلقة بتعيينهم وترقياتهم، والأصل أن يكونوا من المتخصصين؛ أيّ: ممن تدرّجوا في الوظائف الدبلوماسية، لكن كثيراً ما تستعين الدولة بأشخاص ممن يعملون في مجالات أخرى؛ كالقضاء، أو الطب، أو التعليم. ويختلف عدد الموظفين من بعثة إلى أخرى حسب وزن الدولة وإمكانياتها وطبيعة مصالحها في الخارج؛ لذلك تترك لها مسألة تقدير العدد المناسب لكلّ بعثة. ويمكن عموماً التمييز بين أربع فئات تتشكّل منها البعثة، وهي: أعضاء السلك الدبلوماسي، والموظفون الإداريون والفنيون، ومستخدمو البعثة، والخدم الخصوصيون[9].

## مهام البعثة الدبلوماسية

حدّدت المادة الثالثة من اتفاقية فيينا عام ١٩٦١م مهام البعثة الدبلوماسية في عدة جوانب، هي: التمثيل، وحماية المصالح، والتفاوض، واستطلاع أحوال البلد المضيف، وتعزيز علاقاته ببلد البعثة[10].

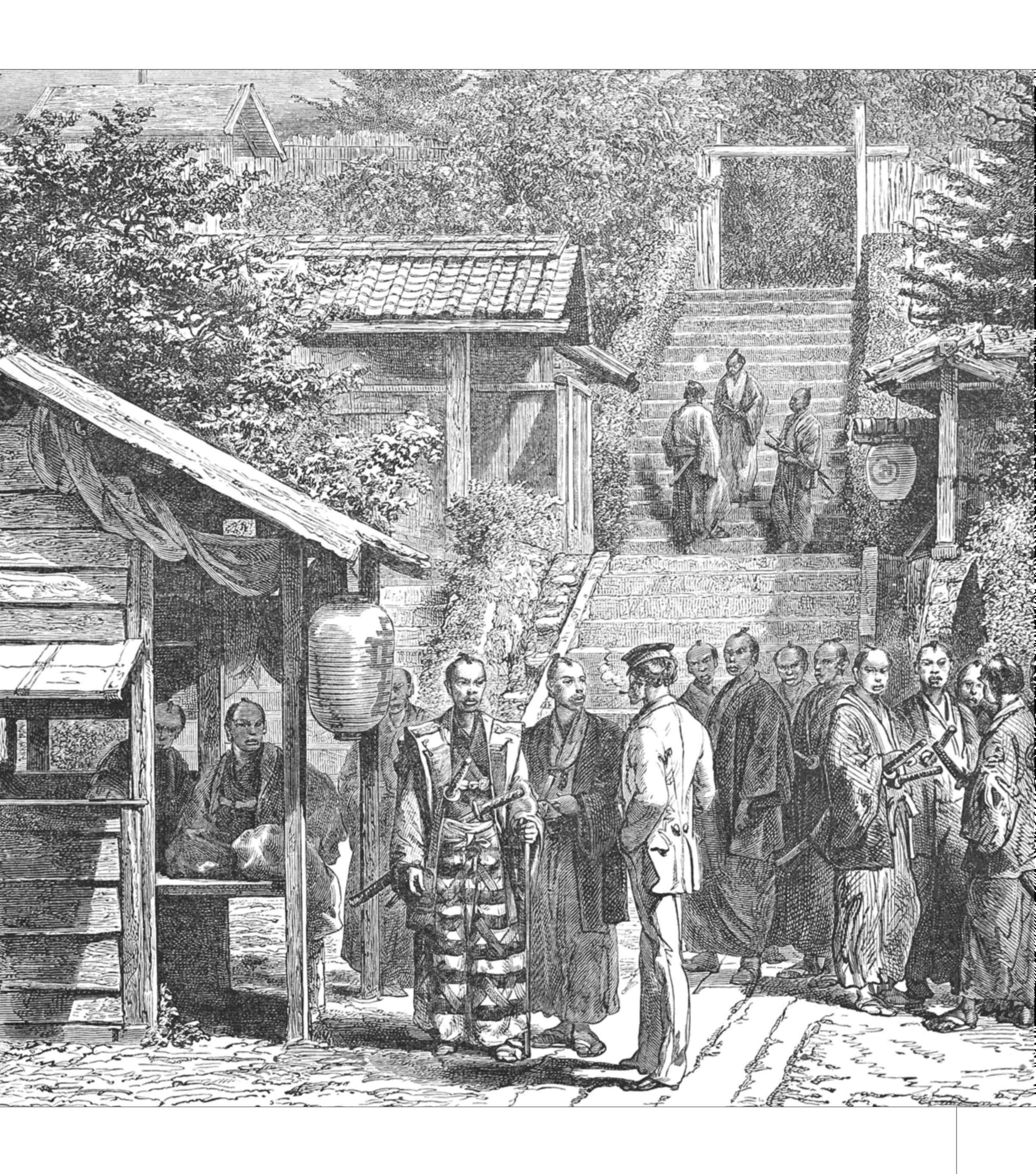
- التمثيل:

يعدُّ أحد المهام الرئيسة التي تقوم بها البعثة الدبلوماسية؛



شهدت الدبلوماسية عند العرب بعد الإسلام تطوراً ملحوظاً؛ فقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية وسيلةً رئيسةً لنشر الدين الإسلامي

الدبلوماسية الشعبية تقوم بها الوفود الطلابية أو العمالية أو الفنية أو الرياضية بهدف عرض الأفكار الصحيحة عن بلدهم



فهو الهدف الذي تسعى الدولة إلى تحقيقه بإرسالها البعثات الدبلوماسية في الخارج، وتتطلب هذه المهمة أن تكون لدى رئيس البعثة القدرة الكافية على تمثيل دولته ومصالحها في الدولة المضيفة على الوجه الأكمل، وأن تكون لديه المعلومات الدقيقة التي يقدمها إلى ممثلي الدولة المضيفة بخصوص سياسات بلده التي يمثلها.

- حماية مصالح الدولة:

لكلّ دولة مصالح في الخارج تحرص على رعايتها وحمايتها بوسائل وأجهزة مختلفة تعدّ البعثة الدبلوماسية واحدة منها؛ إذ تواظب على القيام بهذه المهمة بالوسائل الممكنة، وتقوم بالتحرك في اتجاهات متعددة، منها: المساعدة على تقنين العلاقات المرتبطة بمصالح بلادها مع البلد المضيف في معاهدات واتفاقيات محددة، والحصول على الضمانات الكفيلة بعدم المساس بها، ومتابعة وفاء الدولة المضيفة بالتزاماتها المتعلقة بتلك المصالح، والمراقبة اليقظة لتطورات الأوضاع المرتبطة بتلك المصالح، وملاحظة كلّ ما من شأنه أن يعرّضها للخطر.

- المفاوضات:

السبب الأصلي لوجود الدبلوماسيين هو الرغبة في وجود ممثّل في عاصمة أجنبية يتمتّع بصلاحية التفاوض على الاتفاقات مع الدولة المضيفة والتعامل مباشرةً مع الحكومة الأجنبية.

- جمع المعلومات:

الواجب الأساسي للدبلوماسي هو تقديم تقارير إلى حكومته عن الأحداث السياسية والقضائية المرتبطة بالدولة التي يعمل بها، وهو ليس جاسوساً بالمعنى المألوف للكلمة، مع أن بعض رؤساء البعثات كانوا كذلك.

- العلاقات العامة:

يقوم الدبلوماسي باستمرار بجهود لتوفير حسن النية لدولته وسياستها، وهذه المهمة التي تجمع بين الرعاية والعلاقات العامة تتطلب إقامة حفلات ومآدب عشاء، وحضور مثل هذه الحفلات، وإلقاء محاضرات وخطب.

## الحصانات والامتيازات الدبلوماسية

هي محصّلة حقوق خاصة تُمنح للدبلوماسيين الأجانب والبعثات الدبلوماسية في الدولة المستقبلة من أجل تنفيذ الوظائف الموكلة إليهم بنجاح، وبهدف ضمان البعثات الدبلوماسية وحمايتهم، وتتضمن إعفاء الموظف الدبلوماسي من الخضوع لولاية القضاء الوطني، والإعفاء من الضرائب والرسوم، وتسمح له بجلب ما يشاء ضمن حدود ما يسمح به قانون الدولة المستقبلة من حاجات من دون عوائق جمركية. وتعدّ اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١م، والاتفاقيات الثنائية التي توقّعها الدول فيما بينها، ومبدأ التعامل بالمثل، هي القواعد الأساسية التي تحكم وتنظّم العلاقات الدبلوماسية.

- رفع العلم

جاء في المادة ٢٠ من اتفاقية فيينا أن للبعثة ورئيسها الحق في وضع علم الدولة الموفدة وشعارها على أماكن البعثة، ومن بينها مكان إقامة رئيس البعثة، وكذا على المواصلات الخاصة بها.

- حرمة مبنى البعثة الدبلوماسية

نصّت المادة ٢٢ من اتفاقية فيينا على حرمة مبنى البعثات

### الحصانات المتعلقة بمقرّ البعثة الدبلوماسية

**لكلّ بعثة دبلوماسية الحق في أن تخصّص لنفسها مقراً تباشر فيه وظيفتها، وهو ما نصّت عليه المادة ٢١ من اتفاقية فيينا، وعلى الدولة المضيفة تسهيل حصول الدولة الموفدة للبعثة الدبلوماسية على المقر اللازم لعمل بعثتها وفقاً للقوانين المحلية للدولة المضيفة. ويُقصد بالمباني الدبلوماسية دار البعثة الدبلوماسية عدا السكن الخاصّ بالدبلوماسيين، إلا أن دار السفير أو رئيس البعثة -فيما يغلب عملاً- هي جزء من مباني السفارة؛ لذا كثيراً ما نجد اللافتة الموضوعة عليها تحمل اسم السفارة التي يرأسها؛ دليلاً على حرمة تلك الدار. ويكون للبعثة الدبلوماسية مقر في عاصمة الدولة ترفع عليه علمها، وتحميه الدولة المضيفة حمايةً خاصةً؛ منعاً من العدوان عليه، أو إقلاق أمن البعثة الدبلوماسية وطمأنينتها.**



الدبلوماسية، وجاء فيها أن أماكن البعثة مصونة، ولا يسمح لموظفي الدولة المستقبلة دخولها إلا بموافقة رئيس البعثة، ولا يجوز تفتيش مقرّ البعثة. كما نصّت المادة ٣٠ من اتفاقية فيينا على تمتّع منزل السفير وحاجاته بالحصانة الدبلوماسية، وجاء فيها أن المنزل الخاصّ بالمبعوث الدبلوماسي بالحرمة والحماية ذاتيهما المقررتين للأماكن الخاصة بالبعثة[١١].

- حصانة شخص المبعوث الدبلوماسي

غير أن حرمة المبعوث الدبلوماسي لا تعني إمكانية خرقه القوانين أو التعدي على حقوق مواطني الدولة المضيفة؛ فمن حق الدولة المستقبلة أن تقوم بإخطار الدولة الموفدة بإنهاء مهمته واستدعائه فوراً، وفي حالات كثيرة تقوم دولة الاستقبال بطرد رئيس البعثة أو بعض موظفيه فوراً (في حالة التجسّس على سبيل المثال).

- الحصانة القضائية المدنية

الحصانة من القضاء المدني تعني إعفاء الدبلوماسي من جميع الدعاوى المدنية المقامة ضده، ويستند هذا الإعفاء إلى أن إقامته بهذه الدولة مهما طال أمده هي إقامة عارضة، وأن طبيعة عمله في الدولة المضيفة، وضرورة احتفاظه باستقلاله عند قيامه بمهمته، والمحافظة على مظهر الصفة التمثيلية لدولته، تتنافى مع جواز رفع الدعوى عليه ومقاضاته كأيّ فرد عادي أمام محاكم الدولة الذي يتولى فيها هذه المهام.

- الإعفاءات المالية والضريبية

نصّت اتفاقية فيينا على عدد من الإعفاءات المالية التي يجب على الدولة المستقبلة مراعاتها بالنسبة إلى بعثة الدولة الموفدة، منها: تُعفى بعثة الدول الموفدة ورئيسها من جميع الضرائب والرسوم الوطنية والإقليمية والبلدية المفروضة على الأماكن الخاصة بالبعثة التي تمتلكها أو تستأجرها شريطة ألاّ يتعلق الأمر بضرائب أو رسوم تُجبى لقاء تأدية خدمات خاصة. وهناك مزايا أخرى تمنح للدبلوماسيين؛ مثل: السماح لهم بدخول المنطقة الجمركية، والوصول إلى الطائرة (المهبط) في بعض الأحيان لكلّ من السفراء والقائمين بالأعمال الأصليين والملحقين الحربيين، والإعفاء من رسوم إنتاج البنزين بشرط المعاملة بالمثل، والإعفاء من رسوم شغل الطريق العام بشرط المعاملة بالمثل، والإعفاء من رسوم كثير من التراخيص (رخص القيادة، والسيارات، والسلاح، والصيد، وغيرها) وفق مبدأ المعاملة بالمثل.

- حرمة مراسلات البعثة الدبلوماسية

تسمح الدولة المستقبلة بحرية اتصالات البعثة لكل الأغراض الرسمية وتصونها، ويحقّ للبعثة في اتصالاتها مع حكومة الدولة الموفدة، وكذلك مع البعثات الأخرى والقنصليات التابعة لهذه الدولة حيثما وجدت، أن تستخدم وسائل اتصال خاصة بها بما في ذلك حامل الحقيبة الدبلوماسية، والرسائل الرمزية أو الرقمية (الشفرة)، إلا أنه لا يحق للبعثة أن تقيم أو تستخدم جهاز إرسال لاسلكي إلا بموافقة الدولة المستقبلة. كما أن للمراسلات الرسمية للبعثة حرمةً مصونةً، وتشمل المراسلات الرسمية كل المراسلات الخاصة بالبعثة ومهامها.

- حصانة الحقيبة الدبلوماسية

الحقيبة الدبلوماسية هي طرد يحتوي على البريد، إضافةً إلى وثائق ومخطوطات ذات استخدام رسمي، وقد حددت الفقرة ٤ من المادة ٢٧ في اتفاقية فيينا مفهوم الحقيبة الدبلوماسية

بنصّها على أن العبوات المكونة للحقيبة الدبلوماسية يجب أن تحمل علامات خارجية ظاهرة تدلّ على صفتها، ولا يجوز أن تحوي سوى وثائق دبلوماسية أو أشياء للاستعمال الرسمي(١٢).

- الحصانة الشخصية للمبعوث الدبلوماسي

تعدّ الحصانة الشخصية لذات المبعوث الدبلوماسي من أهم الحصانات الدبلوماسية وأقدمها، وهي عدم التعرّض لذات المبعوث الدبلوماسي، وحمايته من أيّ اعتداء يُوجَّه إليه أو فعل فيه مساس بشخصه أو امتهان لصفته، كما أنه لا يجوز القبض على رجال السلك الدبلوماسي، أو اعتقالهم، أو حجزهم. كما تقضي الدبلوماسية بأن يكون منزل الدبلوماسي بمنأى عن التعرّض له، سواء من جانب سلطات الدولة المضيفة أو من جانب غيره(١٣). كما تمتد الحصانة الدبلوماسية إلى جميع الأشياء المتعلقة بالمبعوث الدبلوماسي؛ فلا يجوز التعرض لمنقولاته وسياراته وحقائبه، وكذلك مراسلاته، سواء الخاصة أو تلك يتبادلها مع حكومته بشأن وظيفته كما تنص المادة ٣٠ من اتفاقية فيينا عام ١٩٦١م(١٤).

- الحصانة القضائية

تعني إعفاء الدبلوماسي من الخضوع لقضاء الدولة المضيفة، وتشمل الحصانة القضائية الإعفاء من الخضوع للقضاء الجنائي والمدني والإداري نتيجة الحصانة التي يتمتع بها المبعوث الدبلوماسي.

اتبع الخلفاء الراشدون أثر النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتماد على الدبلوماسية لنشر الدين الإسلامي والاتصال بالأقوام الأخرى

---

عقد الأمان يقتضي ترك القتل والقتال مع الكفار، وعدم استباحة دمهم أو مالهم أو استرقاقهم

## المراجع


(١) عبدالفتاح شبانة، الدبلوماسية: القواعد القانونية- الممارسة العلمية- المشكلات الفعلية، القاهرة: مطبعة مدبولي، ٢٠٠٢م.

(٢) سعيد أبو عبادة، الدبلوماسية: تاريخها وأنواعها، فلسطين: دار النماء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص١٠.

(٣) علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، الإسكندرية: دار المعارف، ١٩٧٧، ص١١.

(٤) صلاح الدومة، المدخل إلى علم العلاقات الدولية، ط٣، الخرطوم: مطبعة جي تاون.

(٥) محمد الصادق عفيفي، تطور التبادل الدبلوماسي في الإسلام، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، من دون تاريخ، ص٤٢، ٤٣.

(٦) شاهيناز نصر الدين محمد، البعثات الدبلوماسية في العصر الحديث من المنظور الإسلامي، الخرطوم: المركز العالمي للدراسات والبحوث، ٢٠٠٦م، ص٥٤.

(٧) عبدالفتاح شبانة، الدبلوماسية: القواعد القانونية- الممارسة العملية- المشكلات الفعلية، مرجع سابق، ص١٠، ١٢.

(٨) علي خليل إسماعيل، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، ٢٠١٠م، ص١٢١.

(٩) عطاء محمد صالح زهرة، أصول العمل الدبلوماسي والقنصلي، ط٢، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص١٠-١٢.

(١٠) انظر: اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١م، المادة ٣، ملحق رقم ٢.

(١١) عُلا أبو عامر، الوظيفة الدبلوماسية: نشأتها ومؤسساتها وقواعدها وقوانينها، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ص١٨.

(١٢) انظر: اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١م، المادة ٢٧، الملحق رقم ١.

(١٣) علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، مرجع سابق، ص٢٣٠.

(١٤) انظر: اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١م، المادة ٣، الملحق رقم ١.

- علي الشامي، الدبلوماسية، ط٢، عمان: دار الملايين، ١٩٩٤م.
- أمين عبدالله النور، البروتوكول والإتيكيت بين الإسلام والمجتمع الحديث، الخرطوم، ٢٠٠٩م.
- سموحي فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٣م.
- محمود خلف، الدبلوماسية: النظرية والممارسة، عمان: دار زهران للنشر، ١٩٩٧م.
- جمال بركات، الدبلوماسية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها، القاهرة: من دون ناشر، ١٩٩١م.





# حضور الثقافات العربية في الصين الحديثة



**وانغ يو يونغ**
شانغهاي – الصين

الصينية والعربية، اللتان تنتميان إلى دائرة الثقافة الشرقية، أسهمتا منذ العصور القديمة بجهود مشتركة وتبادلات مكثفة في تطوير الثقافة الإنسانية، حتى أصبحتا قدوتين حسنتين في تاريخ البشرية للتبادلات الثقافية. أما في عصرنا اليوم، فدخلت التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية مرحلةً تنمويةً جديدةً؛ إذ تشتدّ رغبات طرفيها في التبادلات الثقافية، وتتنوّع قنوات التبادل الثقافي ووسائله مع إنشاء جمعية الصداقة الصينية العربية عام ٢٠٠١م، وإقامة منتدى التعاون بين الصين والدول العربية عام ٢٠٠٤م، الذي تنبثق منه آلية الحوار بين الحضارتين الصينية والعربية، وقد انعقدت أربع ندوات في كلّ من: الصين، والسعودية، وتونس، والإمارات، شاركتُ في ثلاث ندوات منها.

وألخّص في هذه المقالة ما قامت به الصين الجديدة حتى اليوم من الدراسات في الثقافة العربية، وأحلّل الفرص التاريخية السانحة، والسبل الإستراتيجية الصالحة لنشر الثقافة العربية في الصين اليوم.



تاريخ الثقافة الإنسانية تاريخ لا تنقطع فيه التبادلات والتخالطات والتمازجات بين الثقافات المختلفة، وتستفيد فيه كلّ أمة من الأمم الأخرى عن طريق الحوارات الحضارية والتبادلات الثقافية؛ حتى تستطيع أن تتواكب مع تطور العصر، وتتزامن مع تقدّمه. والثقافتان

## دراسات الصين المعاصرة في الثقافة العربية

خلال أكثر من ٦٠ عاماً، منذ أن تأسّست الصين الجديدة عام ١٩٤٩م حتى اليوم، شهدت الدراسات الصينية للثقافة العربية تطورات سريعة، مرّت بمرحلتين رئيستين، هما: مرحلة البدء التي راوحت بين عامي ١٩٤٩ و١٩٧٨م، ودرّبت فيها الصين دفعةً أولى من العلماء المتخصّصين في دراسة الثقافة العربية، وأسّست عدداً من الأجهزة البحثية المعنية، وأقامت عدة جامعات تُدرس فيها اللغةُ العربيةُ، وطبعت بعض المؤلفات العلمية الأساسية والتطبيقية، التي تقتصر مضامينها على تعريف القرّاء الصينيين بالأحوال الموجزة للدول العربية، وتركّز في دراسة حركات التحرير القومي في الدول العربية، وترجمت عدداً كبيراً من المؤلفات الأجنبية المتعلقة بالعلوم العربية، منها ما ألّفه المؤرخ الصيني نا تسونغ، وهو (مختصر في تاريخ مصر المعاصر)، الذي يعدّ من أهم المؤلفات المترجمة قيمةً علميةً في هذه المرحلة التاريخية.

وفي المدة بين عامي ١٩٦٦ و١٩٧٦م مرّت الصين بمرحلة تاريخية

خاصة، هي (الثورة الثقافية الكبرى)؛ إذ كادت دراسات الثقافة العربية في الصين كغيرها من الدراسات تتوقف تماماً، وتوقفت كذلك أعمال الأجهزة البحثية، ولم تنتج إلا قليلاً من الثمار العلمية التي تركّز في ترجمة المؤلفات التاريخية والجغرافية للدول العربية، ومنها (مختصر في تاريخ العرب) للسيد محمد مكين الذي له تأثير كبير في تلك المرحلة التاريخية.

أما المرحلة الثانية، وهي مرحلة الازدهار، فبدأت عام ١٩٧٩م متزامنةً مع تطبيق الصين سياسة الإصلاح والانفتاح؛ إذ ظهر عدد كبير من العلماء المتخصصين في دراسة الثقافة العربية، وتزايدت الأجهزة البحثية المتخصصة، وتوسعت مجالات الدراسة، وتكاثرت المجلات العلمية المعنية؛ مثل: غرب آسيا وإفريقية، والعالم العربي، وآفاق آسيا وإفريقية، ونتجت من ذلك كمية ضخمة من المؤلفات والبحوث العلمية التي تتناول الدول العربية من كل الزوايا والنواحي، ومن أبرزها: الموسوعة الميسّرة لغرب آسيا وشمال إفريقية، وتاريخ العلاقات بين الصين والعرب، والمسيرة والمستقبل للتبادلات بين الحضارتين الإسلامية والصينية، والجديد في الثقافة الإسلامية، وتاريخ فلسفة الثقافة الإسلامية، والتاريخ العام للعرب، وتاريخ فلسفة الدين الإسلامي، وتاريخ الدول العربية، ومختصر في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، والتوارث والتمازج: الثقافة العربية،

## تثاقف على مستوى عالٍ

في المدة بين عامي ١٩٤٩ و١٩٧٨م تمّت ترجمة كثير من الدواوين الشعرية العربية؛ مثل: ديوان أبي القاسم الشابي، ومجموعات من القصص القصيرة العربية، وكليلة ودمنة لابن المقفع، ورواية الأيام للأديب المصري طه حسين، بيد أن الترجمة الصينية للأدب العربي أوشكت أن تتوقف في أثناء الثورة الثقافية الكبرى. ومع تطبيق الصين سياسة الإصلاح والانفتاح عام ١٩٧٨م دخلت الترجمة الصينية للأدب العربي إلى عصر ذهبي غير مسبوق، تمّت فيه ترجمة أكثر من مئة عمل أدبي عربي، منها أعمال أدبية مصرية لنجيب محفوظ، وإحسان عبدالقدوس، وتوفيق الحكيم، ويوسف السباعي، وأعمال أدبية لبنانية لجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وأعمال أدبية سورية لحنا مينا ونزار قباني، وأعمال أدبية كويتية لسعاد الصباح، وأعمال أدبية سودانية للطيب الصالح، وأعمال أدبية ليبية لأحمد الفقيه، وأعمال أدبية عراقية لبدر شاكر السيّاب، وفي الوقت نفسه تعمّقت الدراسة الصينية للأدب العربي حتى تم إنشاء الاتحاد الصيني لدراسة الأدب العربي، الذي أدى دوراً كبيراً في دفع التطور المستمر لدراسة الأدب العربي في الصين، وأسهم بنصيب كبير في إحراز عدد لا بأس به من الثمار العلمية التي من أهمها: التاريخ العام للأدب العربي للأديب الصيني تسونغ جي كون (صاعد).

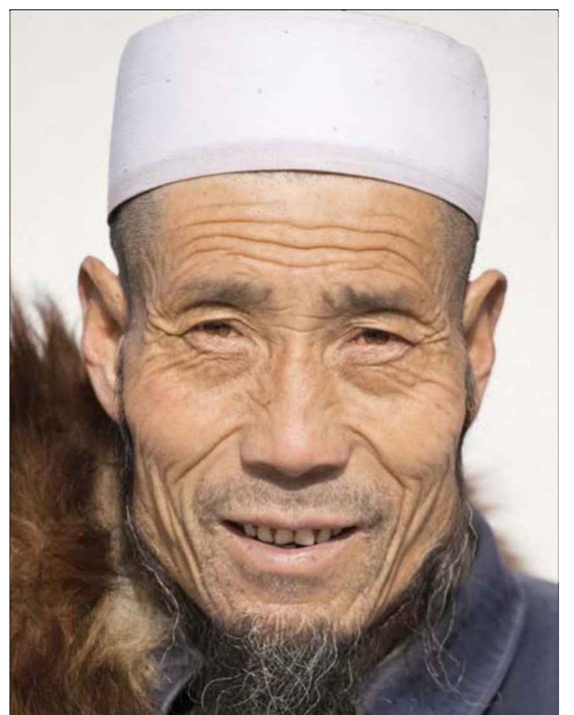
**ينبغي على الصين والدول العربية أن تستعين بوسائل الإعلام التقليدية والجديدة لتحطيم الاحتكار المعلوماتي للدول المتقدمة**



والثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، والأدب العربي المعاصر في التحوّل الثقافي. وامتدت مجالات الدراسة من المجالات التقليدية؛ كالسياسة والتاريخ والدين واللغة والأدب، إلى المجالات الجديدة؛ كالعلاقات الدولية والاقتصاد والاجتماع والثقافة. والجدير بالذكر أن المنجزات العلمية العابرة للعلوم التي تظهر بلا انقطاع جسّدت قدرةً علميةً شاملةً تتميز بها الدراسة الصينية للثقافة العربية، ومثّلت قوةً كبيرةً لتأثير الثقافة العربية في الصين. ونوضّح ذلك بترجمة الأدب العربي وبحوثه في الصين؛ فقد كانت ترجمة الصين للأعمال الأدبية العربية قبل تأسيس الصين الجديدة نادرةً جداً، وثمارها تعدّ وتُحصى بالأصابع، وتنحصر في ترجمة أشهر الحكايات العربية: ألف ليلة وليلة، والنثر الشعري (النبي) للأديب اللبناني جبران خليل جبران.

## سبل نشر الثقافة العربية في الصين المعاصرة

بفضل الجهود الدؤوبة المبذولة من أجيال متعاقبة للطرفين الصيني والعربي تحققت لتبادلاتهما الثقافية إنجازات ملحوظة، وتكوّنت لها قنوات متعددة، غير أنها لا تتناسب مع علاقاتهما الممتازة في المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، ولا تزال



حلقةً ضعيفةً لأسباب متعددة، منها: عدم اهتمام الطرفين بالتبادل الثقافي، وقلة الوسائل الإعلامية لنشر ثقافة الطرف الآخر.

وينبغي على الطرف العربي أمام هذا الواقع أن يستفيد من العولمة الاقتصادية وتقنية المعلومات والإنترنت لإيجاد فرص مناسبة وسبل صالحة لنشر الثقافة العربية في الصين تتمثّل في:

- الاستفادة من الإستراتيجية الصينية الجديدة لتنمية الثقافة:

انعقدت الجلسة الكاملة السادسة للجنة المركزية الـ١٧ للحزب الشيوعي الصيني في بكين خلال يومي ١٥ و١٨ أكتوبر عام ٢٠١١م، ووضعت الإستراتيجية التنموية لبناء الدولة الثقافية القوية عن طريق تعميق إصلاح النظام الثقافي، ودفع التنمية الكبيرة والازدهار الكبير للثقافة الصينية، وإكمال منظومة الخدمات الثقافية العامة لدفع الصناعة الثقافية بوصفها صناعةً داعمةً للاقتصاد الوطني، والعمل على توسيع التبادلات الثقافية المتعددة المستويات والواسعة المجالات مع الدول الأجنبية، والاستفادة من المنجزات الثقافية الأجنبية الممتازة بطريقة إيجابية. ويمكن القول: إن هذه الإستراتيجية لتنمية الثقافة ستتيح فرصةً تاريخيةً سانحةً، وتضع أسساً إستراتيجيةً متينةً لنشر المنجزات الثقافية العربية الممتازة في الصين. وينبغي على الدول العربية أن تغتنم هذه الفرص التاريخية لتنمية إعلامها الثقافي، وصناعتها ومنتجاتها وخدماتها الثقافية في الصين.

- تعميق التواصل الثقافي بين الصين والعرب في إطار منتدى التعاون الصيني العربي:

طرح المنتدى منذ إنشائه أربع أسس تهدف إلى طفرة في علاقات الشراكة الصينية العربية الجديدة تتمثّل في: تقوية العلاقات السياسية على أساس الاحترام المتبادل، وتكثيف التبادل الاقتصادي والتجاري بهدف تحقيق التنمية المشتركة، وتوسيع التواصل الثقافي وتعميقه بما يحقق الاستفادة المتبادلة، وتعزيز التعاون في الشؤون الدولية بهدف تحقيق السلام العالمي وحمايته والدفع بجهود التنمية المشتركة. ويمكن القول: إن المنتدى أصبح منبراً مهماً لا تستغني عنه الصين والدول العربية في إجراء التبادل الثقافي، وتحقيق الانسجام الثقافي بين الطرفين، وهو آلية مميّزة ومثمرة.

وفي الواقع، حقّقت الدول العربية والصين في مجال التبادل الثقافي في إطار هذا المنتدى إنجازات ثقافيةً كبيرةً تتمثّل في: إطلاق



القناة العربية لمحطة التلفاز المركزية الصينية، وتنفيذ مشروع الترجمة المتبادلة للمؤلفات الصينية والعربية، وإقامة الندوات العلمية لحوار الحضارات، ومنتدى الثقافتين الصينية والعربية، والمهرجان الثقافي، والأسبوع الثقافي. ونتمنى أن تُستكمل آليات هذا المنتدى الفعالة تدريجياً؛ حتى تضع أسساً متينةً في تعزيز التفاهم والتواصل بين الثقافتين الصينية والعربية، وتعميق علاقات التعاون الإستراتيجية والتنمية المشتركة بين الطرفين.

- تعزيز التعاون التعليمي بين الصين والعرب لإقامة جسر لنشر الثقافة العربية في الصين:

بالنسبة إلى تعميم اللغة العربية في الصين تمّت إقامة ٣٠ جامعة فقط تُدرس فيها اللغة العربية؛ مثل: جامعة بكين، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وجامعة اللغات الأجنبية ببكين، وجامعة اللغات والثقافات ببكين، والجامعة الثانية للغات الأجنبية ببكين، وجامعة شانغهاي للدراسات الدولية، بيد أن عددها ما زال قليلاً إذا قُورن بإجمالي الجامعات الذي يقرب من ٢٠٠٠ جامعة، وهي تعجز عن تحمّل المهمة الثقيلة لنشر الثقافة العربية في الصين. ومن هذا المنطلق، يجب على الدول العربية والصين أن تعمل على إقامة العلاقات الوثيقة بين جامعات الطرفين، وتبادل الزيارات العلمية بكثافة واستمرار زيادة التفاهم والثقة المتبادلة، كما يجب عليها أن تتعاون في تدريب الأكفاء الثقافية عن طريق تبادل الأساتذة والطلاب؛ حتى تصبح هذه الأكفاء الثقافية من أهم جسور التبادل الثقافي بين الصين والعرب.

**في أثناء الثورة الثقافية الكبرى كادت دراسات الثقافة العربية في الصين، كغيرها من الدراسات، تتوقف تماماً، وتوقفت كذلك أعمال الأجهزة البحثية**

**مع تطبيق الصين سياسة الإصلاح والانفتاح ظهر عدد كبير من العلماء المتخصصين في دراسة الثقافة العربية**

- دفع التعاون الفعّال بين الصين والعرب في البحوث العلمية:

ينبغي على الصين والدول العربية أن تؤيد وتشجّع - بصورة إيجابية - الجامعات والأجهزة العلمية في كلّ منهما على إيجاد شركاء التعاون العلمي المناسبين؛ لتقوم الصين والدول العربية بالدراسات الثقافية المشتركة الحقيقية على أساس التكامل في المزايا، والتشارك في الموارد، والتبادل في المنافع؛ حتى يتم بينها إنشاء الأجهزة المشتركة للدراسات الثقافية التي تساعد على تعميق التبادل الثقافي بينها.

- تفعيل الدور المهم للوسائل الإعلامية التقليدية والجديدة:

بدأت الوسائل الإعلامية، سواء أكانت تقليديةً أم جديدةً، تتطور بفعل التقنية الجديدة إلى الوسائل الرقمية والشبكية والحمولية والدمجية، التي وضعت أساساً متيناً لتطور وسائل الإعلام الجديدة، وفتحت أفقاً جديداً لتطور وسائل الإعلام التقليدية؛ لذلك ينبغي على الصين والدول العربية أن تستعين بوسائل الإعلام التقليدية والجديدة لتحطيم الاحتكار المعلوماتي للدول المتقدمة، وتنشيط الحوارات المباشرة بين الثقافتين الصينية والعربية، وتعزيز التواصل الثقافي والتبادل الفكري، وتعميق التفاهم المتبادل بين الحضارتين الصينية والعربية.

- تنفيذ مشروعات الترجمة والطباعة للمؤلفات الكلاسيكية الصينية والعربية:

تحمل المنتجات الثقافية ما تتميز به الدولة من الروح القومية ومفهوم القيمة، وهي ليست صالحةً لإبراز الصورة الثقافية للدولة وكسب الأرباح الاقتصادية الهائلة فقط، بل أيضاً صالحة لتربية عدد كبير من المؤيدين لثقافتها، وتعزيز قوة التأثير العالمي للثقافة القومية؛ فعلى الدول العربية تنمية المنتجات الثقافية المنظورة والمسموعة والمقروءة، المتميزة بالخصائص العربية، لتغزو الأسواق الصينية الواسعة، وتجذب قلوب الشعب الصيني، وخطوتها الأولى هي تحريك المشروعات لترجمة المؤلفات الكلاسيكية الصينية والعربية، وعلى أساسها تتم إقامة الآليات التعاونية للترجمة والطباعة والتوزيع في المشروعات الثقافية.



فـنـون

# أشهر أوبرا في العالم

تعدّ أوبـرا عايدة أشهر أوبـرا في تاريخ فنّ المسرح الغنائي؛ فقد عُرضت في نيويورك أكثر من ٤٠٠ مرة، وهي مع أوبرات ثلاث (البوهيمية، وكارمن، ودون جـوان) تشكّل ٧٠% من الأوبـرات التي تعرض في العالم كل عام.

محمد محمود فايد

الجيزة – مصر





كان الخديوي إسماعيل قد أسبغ على دار الأوبرا إمكانات غير مسبوقة من ديكور فاخر ومرتبات خيالية؛ فمثلاً كان إكليل أمنيريس من الذهب الخالص

فيردي تطوّر بالموسيقا المسرحية الإيطالية تطوراً كبيراً، واستطاع أن يجعل الأوبرا الإيطالية عملاً متكاملاً

منذ عام ١٩٠٤م صار موسم أوبرا متروبوليتان بنيويورك يفتتح سنوياً بأوبرا عايدة، التي عُرضت أول مرة في أوبرا القاهرة مساء الأحد ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧١م بحضور الخديوي إسماعيل الذي كان قد كلّف الموسيقي الإيطالي الشهير فورتونينو فرانشيسكو جوزيبي فيردي (١٨١٣م- ١٩٠١م) بوضع موسيقاها؛ كي تفتتح بها دار الأوبرا في مناسبة احتفالات افتتاح قناة السويس، لكن ألحانها ومناظرها لم تكن قد اكتملت، فافتتحت الدار بأوبرا ريجوليتو لفيردي أيضاً.

وبعد بضعة أسابيع من عرض (عايدة) عُرضت في أوربا أول مرة في يناير عام ١٨٧٢م في دار أوبرا لاسكالا بميلانو الإيطالية، ثم عرضت في نيويورك أول مرة في أكاديمية الموسيقا في ٢٦ نوفمبر عام ١٨٧٣م، وفي عام ١٨٧٦م عُرضت في لندن في كوفنت جاردن، وفي عام ١٨٨٥م عُرضت في مهرجان الأوبرا بمدينة شيكاغو الأمريكية، وفي عام ١٨٨٥م عُرضت في مهرجان الأوبرا بمدينة شيكاغو الأمريكية، وفي ١٢ نوفمبر عام ١٨٨٦م عُرضت في دار أوبرا المتروبوليتان، وفي عام ١٩٠٣م أدى مغني الأوبرا العالمي كاروزو دور رادميس، وعرضت -ككل عام- على مسرح المتروبوليتان، ومنذ عام ١٩٠٤م صار موسم أوبرا متروبوليتان يفتتح سنوياً بأوبرا عايدة، واستمر ذلك حتى عام ١٩٥١م.

تدور أحداث أوبرا عايدة في مصر الفرعونية، وجرى عرضها عدة مرات في أماكن أثرية في مصر، سواء في الأقصر أم عند الأهرامات، إضافةً إلى عرضها بدار الأوبرا، وقد تأجّل عرضها في مصر عام ٢٠٠٠م بعد الإعلان عنها حتى تُعرض بصورة مبهرة خلال عام ٢٠٠١م بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على وفاة مؤلفها.

## مبدعو القصة نثراً وشعراً

مهندس الفكرة كان عالم المصريات الفرنسي أوجست فرديناند فرانسوا مارييت، الذي كان قد أرسل إلى مصر عام ١٨٥٠م كي يحصل على مخطوطات قديمة يزوّد بها المتاحف الفرنسية، وفي مصر استغرق في علوم المصريات، واشترك في الحفريات التي انتهت باكتشاف معبد السرابيوم في ممفيس، وعثر خلال ذلك على خيط يتّصل بممارسة الفراعنة عادة دفن أعدائهم أحياء. وكان ذلك الخيط، إضافةً إلى هندسة تشييد معبد السرابيوم المختلفة عن طراز المعابد المصرية الأخرى، هما اللذين أوحيا إلى مارييت بفكرة الأوبرا، فاقترح على الخديوي إسماعيل أن تُفتتح بها دار أوبرا القاهرة المزمع إقامتها بمناسبة افتتاح قناة السويس.

ويرى حلمي مراد في كتابه المترجم عن (أوبرا عايدة)، إصدار دار الهلال، أنه نتج من اكتشافات مارييت أن عيّنته الحكومة الفرنسية مساعداً لمدير الجناح المصري القديم بمتحف اللوفر، ثم أنعمت عليه الحكومة المصرية برتبتي البكوية ثم الباشوية، وبعد الحرب السبعينية (الفرنسية- الألمانية) استقرّ في مصر، واختير أميناً للمتحف المصري الذي أسّسه في بولاق الموجود الآن في ميدان التحرير، وبقي أميناً ومديراً لمصلحة الآثار المصرية حتى مات عام ١٨٨١م.

ثم جاء دور من يصوغ الفكرة برمتها نثراً، فقام بهذه المهمة الفرنسي كامي دي لوكل - مدير الأوبرا كوميك بباريس - الذي

كان قد بدأ حياته العملية مترجماً لحوار الأوبرات، وعاش يفخر بدوره في صياغة مشاهد (عايدة)، كما ترجم عدداً من أوبرات فيردي الأخرى.

سُلِّمت الصياغة الفرنسية إلى الشاعر الإيطالي أنطونيو جيزلانزوني؛ ليكتب بالإيطالية نصوص الحوار المغنَّى. وكان جيزلانزوني غريب الأطوار؛ فقد بدأ بدراسة الطب، ثم تحوّل إلى الموسيقا والعزف على الكمان، ولم يلبث أن هجر العزف إلى احتراف الغناء، ثم أسّس صحيفتين متطرّفتين تنطقان بلسان الحزب الجمهوري، فسجن بجزيرة كورسيكا، وبعد خروجه منها عاد إلى الغناء، غير أنه فقد صوته، فعاد إلى الصحافة والنقد الفني والتأليف الروائي. وبحكم صداقة جيزلانزوني لفيردي عرض عليه الأخير أن يكتب حوار (عايدة)، والواقع أنه كتب حوار أكثر من ستين أوبرا، وشارك في إنشاء صحيفة سياسية ساخرة، كما نشر عدداً من المؤلفات المهمة.

## الموسيقار الخارق

يعدّ فيردي أشهر واضعي الأوبرات في القرن التاسع عشر وأفضلهم، وُلد في إيطاليا عام ١٨١٣م، وتلمذ على أيدي معلّمين مرموقين، وطبقاً لعماد عقيل أدرك فيردي حقيقة كبرى، مضمونها أن الإنسان لا يتعلم إلا بمفرده، وسرعان ما انتقل إلى التأليف الموسيقي، وكان أول ألحانه افتتاحية سبقت الفصل الأول من (حلاق إشبيلية) عام ١٨٢٨م، وواصل دراساته، وأتم أوبراه الأولى (روشيستر)، وفي ١٧ نوفمبر عام ١٨٣٩م قُدِّمت أوبراه (أوبيرتو)، ولاقت نجاحاً كبيراً، ثم توالت أوبراته حتى بلغت ٢٦ أوبرا، من أبرزها: جان دارك، وماكبث، وبيت المقدس، وريجوليتو، والتروفاتوري، ولاترافياتا، ودون كارلوس، وعطيل. توفي في ٢٧ يناير عام ١٩٠١م عن ثمانية وثمانين عاماً.

ويرى زين أنصار في مؤلفه القيّم (دراسات موسيقية وكتابات نقدية) أن فيردي تطوّر بالموسيقا المسرحية الإيطالية تطوراً كبيراً، واستطاع أن يجعل الأوبرا الإيطالية عملاً متكاملاً، كما تطور بالفكر الإيطالي، ومع ألحانه أحسّ الشعب الإيطالي بمعنى الحرية. ويرى سبايك هيوز أن عبقرية فيردي تكمن في تطويره صورة الأوبرا التي لم تكن عنده مجرّد نظريات خاصة بإنشاء هيكل فني جديد؛ فلم يتقيد بالإطار الطبيعي للأوبرا إلا في أضيق الحدود بما يلائم الحركة فحسب، وكانت موسيقاه أبلغ من الكلمات في تصويره الشخصيات، فأوجد فناً جديداً، وظلّ الصوت الغنائي عنده نقطة البداية، وقدّم بسخاء ألحاناً مسرحية قوية تأثر فيها بفاجنر. ويؤكد ماكس بنشار في كتابه



حين عرضت (أوبرا عايدة) أول مرة في أوربا حرص فيردي على الاشتراك في البروفات بنفسه طلباً للإتقان التام

أوبرا عايدة فنياً عرض مسرحي هائل يشتمل كل الاستعراضات الفخمة، وهي خطوة كبيرة تمثّل الأوبرا الإيطالية في أوج مجدها



يعدّ فيردي أشهر واضعي الأوبرات في القرن التاسع عشر وأفضلهم، وتلمذ على أيدي معلّمين مرموقين

العـرض الأول لعايـدة كان أهـم حـدث غطّتـه وسـائل الإعـلام فـي تاريـخ فن الأوبرا في العالم





(تمهيد للفن الموسيقي) أن كلا الرجلين فيردي وفاجنر كانا يستقيان من معين واحد، هو بيتهوفن الموسيقي العبقري، وظل فيردي طوال حياته يدرس طرائق بيتهوفن الفنية.

## فنون استعراضية شاملة

تلقّى فيردي عام ١٨٦٩م عرضاً من السلطات المصرية لكتابة أوبرا عايدة، لكنه اعتذر، فطلب منه كامي دي لوكل -مندوب مصر المفاوض- أن يقرأ القصة أولاً، وأرسل إليه ملخصها، وحتى يزيد حماسته أفهمه أن مؤلف القصة هو شخصية مصرية سامية، لكن فيردي لم ينخدع، وتأكّد أنها بقلم أحد علماء الآثار، فقبلها مقابل مئة وخمسين ألفاً من الفرنكات، وأن يكون له حقوق استغلال الأوبرا في جميع أنحاء العالم ما عدا مصر.

لم يستطع فيردي الانتهاء منها في الموعد المحدد؛ لتدقيقه في فحص الحقائق التاريخية، واختياره الملابس والمناظر التي صنعت خصيصًى في باريس؛ بسبب حصار القوات البروسية لباريس.

وأوبرا عايدة فنياً عرض مسرحي هائل يشتمل كل الاستعراضات الفخمة، وهي خطوة كبيرة تمثّل الأوبرا الإيطالية في أوج مجدها، وتؤكد تطور أسلوب فيردي في الكتابة الأوركسترالية، وهي تفوق كل أعماله السابقة، وقد تحدّى بها جميع التقاليد الموسيقية بما أسبغه عليها من تسلسل الأحداث والحبكة الدرامية، وقد صوّر فيها بالموسيقا العواطف الإنسانية المتباينة في مواقف متناقضة تصويراً واضحاً ونادراً. ويؤكد زين أنصاري أنه أول مرة نرى في مؤلفات فيردي التوازن الكامل بين الأوركسترا والأصوات البشرية، ولم يعمد في تصويره البيئة المحلية إلى استخدام الإيقاعات الغربية أو الألحان الشرقية، بل اعتمد على الامتزاج بين الموسيقا والمناظر الفرعونية في خلق الجو المصري القديم، وجاءت (عايدة) في أربعة فصول، وتولّى قيادة عرضها الأول المايسترو جافاني بوتريني.

## ملخص الأوبرا

### الفصل الأول - المشهد الأول:

في بهو القصر الملكي بمنف تستهلّ الأوبرا بتمهيد أوركسترالي قصير، ويفهم من الأحداث أن القوات الحبشية تحاول اجتياز





الحدود المصرية، ويعلن رامفيس -كبير الكهنة- أنه سيجري اختيار قائد جديد للجيش، ويتمنى راداميس أن يكون هو القائد؛ ليتمكن من الزواج بعايدة جارية أمنيريس بنت الفرعون المولعة به، التي تجاهد لتعرف شعوره نحوها ونحو جاريتها. يحضر رسول معلناً عبور الأحباش الحدود، فيختار فرعون راداميس قائداً للجيش.

**المشهد الثاني:**

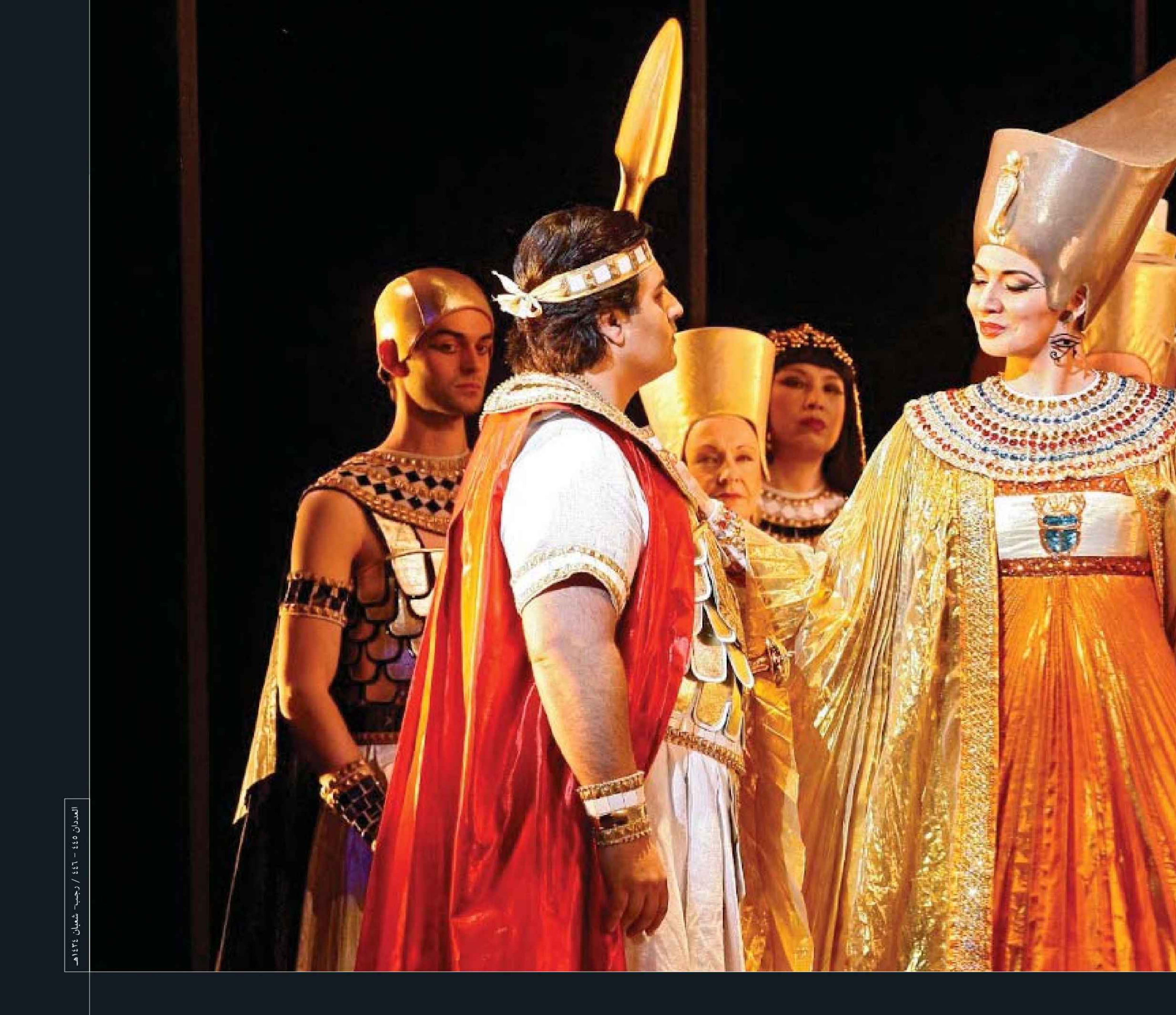
احتفالات بتنصيب راداميس تفيض بالألحان والترانيم التي تنشدها المجموعة، وتبرز الألحان التي تصاحبها آلة الهارب.

**الفصل الثاني - المشهد الأول:**

داخل حجرة أمنيريس، التي تحيط بها النساء يرفّهن عنها بالغناء والرقص بينما تفكّر هي في راداميس، فيجول بخاطرها أن تستدرج عايدة لتعرف حقيقة شعورها، فتخبرها بقتله، ثم تنفي الخبر مباشرةً، فتتأكد من حبّ عايدة له. ويعدّ الحوار الغنائي بين عايدة وأمنيريس من أجمل ما أبدعته عبقرية فيردي.

**المشهد الثاني:**

عند أبواب طيبة أبرز المشاهد لاستعراض موكب النصر: الجيش وقائده، ومن الخلف تمرّ صفوف الأسرى، بينهم أموناصرو ملك



الأحباش، وفي نشوة النصر يقدم فرعون يد ابنته لراداميس، الذي لا يستطيع الرفض، فيناجي الآلهة طالباً العون ليبقي على حب عايدة.

**الفصل الثالث:**

مشهد واحد تدور أحداثه على ضفاف النيل حيث تتوجه أمنيريس إلى المعبد لتقضي فيه الليلة الأخيرة قبل الزفاف، فتفاجأ بسماع حديث بين عايدة وأبيها يحرّضها على انتزاع بعض الأسرار الحربية من راداميس، وتطلب عايدة من راداميس الهرب معها إلى الحبشة، وتفاجئ أمنيريس الجميع، وتنذر بإشارة الخطر، ويقبض الجند على راداميس، وتهرب عايدة.

**الفصل الرابع - المشهد الأول:**

قاعة بالقصر الملكي، وتبدو أمنيريس حزينةً لخيانة راداميس، ولعلمها أن مصيره القتل، فتحاول إثناءه عن حبه عايدة بأنها في هذه الحالة ستتدخل لإنقاذه، لكنه يرفض.

**المشهد الثاني:**

في المعبد يُقسم المسرح طابقين: تدور في الطابق العلوي مراسم وتقاليد دينية لإعدام راداميس تحضرها أمنيريس بثوب الحداد، وفي الطابق السفلي نجد راداميس داخل القبر الذي سيدفن فيه حياً، وتتسلّل عايدة إلى القبر، ويتبادل الحبيبان الحوار آخر



مهندس فكرة أوبرا عايدة كان عالم المصريات الفرنسي أوجست فرديناند فرانسوا ماريت، الذي أرسل إلى مصر عام ١٨٥٠م كي يحصل على مخطوطات قديمة يزوّد بها المتاحف الفرنسية

يؤكد زين أنصاري أنه أول مرة نرى في مؤلفات فيردي التوازن الكامل بين الأوركسترا والأصوات البشرية

مرة في الثنائي الختامي (وداعاً حياة الحزن والبؤس)، وترتفع أصوات الكهنة، ويسدل الستار.

## أهم حدث تاريخي

يؤكد حلمي مراد من خلال المراجع العالمية المختصة أن العرض الأول لعايدة كان أهم حدث غطّته وسائل الإعلام في تاريخ فن الأوبرا في العالم؛ فقد توافد عليه مئات من مراسلي الصحف والمجلات العالمية ونقّاد الموسيقا. كان الخديوي إسماعيل قد أسبغ على دار الأوبرا إمكانات غير مسبوقة من ديكور فاخر ومرتبات خيالية؛ فمثلاً كان إكليل أمنيريس من الذهب الخالص، وكانت أسلحة راداميس من الفضة الثمينة، باختصار كان كل شيء أسطورياً، لدرجة أن جميع دور الأوبرا العالمية التي قدّمت (عايدة) نقلت تصميمات الملابس والديكور من تلك الحفلة الأولى التاريخية.

بعد انتهاء العرض هرع الصحفيون والنقاد ليرسلوا آراءهم، وصرح فيليبو فيليبي -عميد نقاد الأوبرا الإيطاليين حينها- بأن ما توقّعه قد تحقّق، وأن عبقرية فيردي ارتفعت إلى مستوى فاجنر، وأن هذا العمل هو - بلا جدال - أروع عمل لفيردي. أما الناقد الفرنسي ريبة، الذي كان قبل عايدة ضد فيردي، فقد اعترف بأنها عمل ممتاز سيحظى بتقدير عشاق الأوبرا في فرنسا.

وحين عُرضت (أوبرا عايدة) أول مرة في أوربا بعد ذلك بأسابيع حرص فيردي على الاشتراك في البروفات بنفسه طلباً للإتقان التام، وارتفعت البطلتان حينها مغنيتا الأوبرا الإيطاليتان: تيريزا ستواز (عايدة)، وماريا والدمان (أمنيريس)، إلى المستوى المثالي، بل حقق أداءهما للدورين مستوى نادراً لعله لم يتحقق مرةً أخرى حتى اليوم. وأكد ذلك العرض لجميع المختصين في العالم أن (عايدة) جاءت بالفعل عملاً خارقاً جديراً بالشهرة والإعجاب على جميع المستويات العالمية للفن الأوبرالي.



## «عايدة» فلم سينمائي

في عام ١٩١١م اقتبس عن (عايدة) فلم سينمائي صامت، ثم انصرف عنها السينمائيون أربعين عاماً حتى اقتبست ثانيةً في فيلم إيطالي بطولة الشهيرة صوفيا لورين، وكان الغناء بصوت المغنية الأوبرالية النجمة حينها ريناتا تيلدي. وفي عام ١٩٥٢م قرّر بعض المسرحيين في برودواي بنيويورك أن يقدموا فكرة (عايدة) لكن في إطار غير فرعوني، فصوروا القصة على أنها جرت في إحدى مزارع ولاية تنيسي الأمريكية قبيل الحرب الأهلية الأمريكية (حرب تحرير العبيد)، وجعلوا بطلها ضابطاً من الجنوب الأمريكي، بينما كانت عايدة ووالدها من أهل ولايات الشمال الذين يؤيدون تحرير العبيد.






## نائب وزير الخارجية الصيني الأسبق:

# العلاقة السعودية الصينية إستراتيجية

حوار: عبدالله الكويليت

## لم يكَد يبدأ القرن الحادي والعشـرون إلا والصين قد تبوأت مكانتها القوية على المسـتوى الاقتصـادي والإسـتراتيجي العالمي، حتى أصبـح العالم يتجه معه إلـى العـودة إلـى القطبيـة المتعددة مرةً أخرى بعـد أن ظلّ حقبةً يعيش مع القطب الأمريكي الأوحد.

نهضة الصين الاقتصادية تقود قارة آسيا كلها؛ فاليابان وكوريا وإندونيسيا وفيتنام وسنغافورة وماليزيا بها امتداد صيني، ولها حضورها الديموغرافي والاقتصادي السياسي الإستراتيجي، وتتميز الصين بكثافة عدد السكان، ووفرة الدعم المالي. (الفيصل) التقت يانغ فو تشانغ – نائب وزير الخارجية الصيني الأسبق، ومستشار مجلس إدارة مركز الدراسات لمنتدى التعاون العربي الصيني– وناقشت معه أبعاد العلاقات الصينية العربية، والأزمة السورية، وأفق الوجود الصيني في المنطقة العربية.

*** لنبدأ بالسؤال عن العلاقات السعودية الصينية الآن، أعـرف أن هناك علاقــات اقتصادية قويـة، وأعرف أن بعض الشركات مثل أرامكو وسابك لها مشروعات كبيـرة هنــاك، فهـل توجد رغبــة في التوسـع في هذه العلاقة لتصبح علاقةً إسـتراتيجيةً ضخمةً كما هي العلاقة مثلاً بين السعودية والولايات المتحدة الأمريكية؟**

> الصين والمملكة تسعيان إلى تحقيق السلام في المنطقة والعالم

> نؤيد جهود الأمم المتحدة في سورية.. وتغيير النظام بيد الشعب لا الدول الأخرى



الأمير تركي الفيصل يكرم نائب الوزير الصيني

- العلاقة السعودية والصينية بشكل عام قوية ومتينة ووطيدة، هذه هي الصفات التي يمكن أن نصف بها هذه العلاقة، وقد حرص خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على زيارة الصين في أول عهده، وكانت في مقدمة الدول التي زارهـا. وهـذه الخطوة كان لها وقعها الطيب على الجانب الصيني، هذا من ناحية المملكة، أما من ناحية الصين فإن الرئيس الصيني هو جين تاو قام خلال سنتين بزيارة المملكة مرتين، ولم يحدث أن قام أيّ رئيس صيني بزيارة أيّ دولة مهما كانت صداقتها مرتين خلال هذه المدة القصيرة، وهذا يدلّ على اهتمام الصين بعلاقتها مع المملكة العربية السعودية.

أنا أقول بثقة: إن عندنا علاقاتٍ إستراتيجيةً، وهي تعني أن أمامنا أفقاً واسعاً لتطوير العلاقات الثنائية في كلّ المجالات،



جانب من محاضرة نائب الوزير الصيني في مركز الملك فيصل

وليس في الناحية الاقتصادية فحسب. عندنا تبادل اقتصادي ضخم، في السنة الماضية وصل إلى ٦٥ مليار دولار، بزيادة ٥٠٪ عن السنة الماضية، هذه قفزة كبيرة جداً. نحن نستورد ٥٠ مليون طن من النفط من المملكة، هذا طبعاً يشكّل ربع النفط الذي تستورده الصين من العالم في السنة، فهناك تطور كبير ملموس في العلاقات الاقتصادية بين البلدين.

*** نعرف أن العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري قويان، لكن العلاقات الإستراتيجية لها انعكاسات في المحيط الإقليمي، فهل هناك رغبة لدفع العلاقة الاقتصادية لكي تكون علاقةً إستراتيجيةً كبيرةً وتكامليةً؟**

- من الناحية السياسية أعتقد أن الصين والمملكة تنتهجان السياسة نفسها؛ فهما تسعيان إلى هدف واحد، هو تحقيق السلام في المنطقة والعالم، وشعارنا أن نبني مع الشعوب الأخرى عالماً متناغماً ومتناسقاً يمتلئ بالوئام والسلام، هذا هو هدف الصين. وأعرف أن المملكة أيضاً تتبنى سياسةً سلميةً تسعى إلى بلوغ الاستقرار في المنطقة، وهذه السياسة نقدّرها ونتعاون من أجل تحقيقها.

*** ننتقل إلى الملف الإقليمي الأكثر سخونةً الآن، وأقصد الملف السوري؛ فنحن لا نرغب في انفراد أمريكا، وأن يدار العالم بقطب واحد، لكن لماذا إصرار روسيا والصين على دعم النظام السوري؟ لماذا لم تخاطبوا المعارضة لاختصار المشوار وحقن الدماء؛ لأن النظام في سورية مهما طال الوقت سيسقط في النهاية؟**

- أنا متّفق معك في تقويم نظام العالم؛ فهو سيكون متعدد الأقطاب،

ولن يكون لقطب واحد، وأمريكا تسعى إلى أن يكون أحاديّ القطب، وتريد أن تسيطر على العالم. لا، هذا الزمن قد مضى، ولا يمكن أن يعود. ثم بالنسبة إلى القضية السورية، أعتقد أن هناك سوء قراءة للموقف الصيني، أنت قلت: لماذا تقف الصين مع النظام؟ الصين لم تقف مع النظام، ولم تدعمه. انظر إلى قرارات الأمم المتحدة، الصين لم تصوّت لحماية النظام وحماية بشار الأسد، الصين فقط متمسكة بالمبدأ، مبدأ السياسية الصينية دعم قواعد الأمم المتحدة ومقاصدها، دائماً الصين متحمسة للمبدأ، وأهم مبدأ في ميثاق الأمم المتحدة السيادة، وعدم التدخل في شؤون الدول. الصين متمسكة بهذا المبدأ، وتقوم السياسة الخارجية للصين على احترام السيادة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأيّ دولة، ونتمسك بسياسة حلّ الخلافات حلاً سلمياً. بالنسبة إلى القضية السورية، فإن الصين أدلت بصوتها لهذا المبدأ بعدم التدخل في الشؤون الداخلية السورية. الصين أيّدت كل قرارات الأمم المتحدة لإرسال مبعوث خاصّ للقضية السورية: كوفي عنان، ثم الأخضر الإبراهيمي. نؤيد جهود الأمم المتحدة في إرسال مبعوث خاص إلى المنطقة للبحث عن الحل السلمي، وأنا أعتقد أن مهمة كوفي عنان والأخضر الإبراهيمي كانت هي إيجاد طريق للحل السلمي. الموقف الصيني هو تأييد الأمم المتحدة في هذه النقطة؛ لأن هناك من يقول: إن الصين عقبة في تمرير قرارات الأمم المتحدة، مع أن الصين لم تكن عقبة أبداً أمام القرارات؛ فنحن نؤيد جهود الأمم المتحدة، لكن الصين ترفض ما يتناقض مع المبادئ التي تؤمن بها إذا كان هناك قرار لتغيير النظام؛ لأن مثل هذا التغيير لا يتم إلا من الشعب، لا من المنظمة الدولية أو الدول الأخرى. أعتقد أن أيّ خلافات داخلية أو نزاعات داخل أيّ دولة تكون الكلمة فيها لشعبها، والشعب له الكلمة في النهاية؛ فالشعب هو الذي يختار قرار تغيير النظام، وفي الوضع السوري القرار في النهاية بيد الشعب السوري.

*** ماذا عن الفيتو الصيني؟**

– الفيتو لأن هناك تدخلاً في الشؤون الداخلية السورية.

*** ولماذا لم تتدخل بالضغط اقتصادياً على النظام السوري؟ وهل من الصحيح أن يباد شعب أعزل بآلة**


د. جرين منهمكاً في العمل

**أمريكا تتخذ القرارات وتريد أن تتبعها كل الدول، وهذا ضد الشرعية الدولية**





رؤية صينية خاصة للوضع السوري

**ضخمة بيد جيش مسلح ومدرب، وأبسط مراقب سياسي يعرف أن وجود كوفي عنان أو الأخضر الإبراهيمي هو مجرد تمليح أو تلطيف أخلاقي للمأساة؛ لأنه لا دور لهما من دون الورقة الروسية الصينية؟**

- الورقة الصينية مع كوفي عنان ومع الأخضر الإبراهيمي، ونؤيد كل جهودهما. زار الأخضر الإبراهيمي الصين، وتباحث مع وزير الخارجية الصيني، الذي أبدى له التأييد لكلّ جهوده. إذاً، الورقة الصينية مؤيّدة للجهود، فلنسأل الأطراف الأخرى إذا كانت تؤيّد تلك الجهود.

*** أنا لا أريد أن تتدخل الصين عسكرياً، لكن بصفتها ثقلاً سياسياً واقتصادياً كبيراً في العالم بإمكانها أن تمارس الضغط الاقتصادي على النظام؛ إذ لا يعقل أن يقصف شعب أعزل بالطائرات؟**

- أوضح لك أن حجم التبادل الاقتصادي بين الصين وسورية في السنة الماضية كان تقريباً ملياري دولار فقط، وإذا قارنّاه مع التبادل مع المملكة الذي يبلغ ٦٥ مليار دولار فإن التبادل الاقتصادي مع سورية لا يشكّل ضغطاً؛ لأن علاقتنا الاقتصادية مع سورية ضعيفة، ولا وزن لهذا التبادل الاقتصادي.

*** الحصار ليس فقط في التبادل التجاري، هناك المسائل اللوجستية، فهناك حصار اقتصادي على إيران وهي قوة إقليمية، وهذا الحصار الآن فعال وقد يكون أكثر فاعليةً مستقبلاً؟**

- نحن مع أيّ قرار من الأمم المتحدة تجاه أيّ موضوع، نحن مع الشرعية الدولية لا الشرعية الأمريكية. أمريكا اعتادت أن تتّخذ قراراً لتتبعها الدول، لكن هذا الأسلوب ترفضه الصين، ولا يمكن للصين وضع قرار لفرض العقوبات على أيّ بلد، ثم تطلب من جميع الدول أن تمشي معها؛ فهذا ليس أسلوب الصين في معالجة الأوضاع. الآن أمريكا فرضت عقوبات على إيران، وهذا لا شرعية دولية له؛ لأنه قرار من جانب واحد، جانب أمريكا، نحن مع الشرعية الدولية.

*** كيف تتصور أن تنتهي القضية السورية؟**

- نحن نتمنى -وأعتقد المملكة كذلك- أن يكون الحلّ عن طريق

## مصرون على سلمية البرنامج النووي الإيراني.. وسياستنا ضد الاستخدام النووي في الأغراض غير السلمية

السلم؛ لأن العنف والحرب يعنيان أن الشعب السوري سيعاني أكثر فأكثر من إراقة الدماء، لابد من الحل السلمي، والحل سياسي، حتى الأخضر الإبراهيمي قال ذلك، وهو المبعوث الخاص للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، والصين تؤيد هذا الاتجاه؛ لأن العنف والقتال يعقّدان الموقف، ويزيدان معاناة الشعب السوري.

*** أنتم تدعون إلى الحل السلمي، أنا أسألكم: ما تصوّركم هل سينتهي النظام أم لن ينتهي؟**

- المعارضة تطلب تنحّي الرئيس بشار الأسد، لكن الحلّ في التفاوض بين الجانبين، وكل جهود الصين في هذا الاتجاه، وهي على صلة بالجانبين حقناً لدماء الشعب السوري، لماذا القتال بدلاً من التفاوض لإنهاء الأزمة؟!.

*** الآن البرنامج النووي الإيراني يمثّل قلقاً كبيراً لدول الخليج لمخاطره؛ لأن التاريخ علّمنا ألا نثق بالمفاعلات النووية بشكل مطلق؛ فهناك مفاعل أمريكا ٣ مايلز آيلند، وتشرنوبل، واليابان. نحن قلقون، خصوصاً أنها قريبة من مياهنا الاقليمية أو هي في مياهنا؛ فنحن نشترك معاً في الخليج العربي، كيف ترى الصين عملية التوسع في المفاعلات الإيرانية في هذه المدة؟**

- ينبغي بدايةً توضيح وجهة النظر الصينية في القضية النووية؛ فالصين دولة نووية؛ أي: تملك سلاحاً نووياً، لكن سياستنا أعلناها مراراً، لن تكون الصين بادئةً في استخدام السلاح النووي أبداً. ثم النقطة الثانية، الصين لن تستخدم هذا السلاح ضد الدول التي لا تملكه، هذه هي سياسة الصين؛ لأن هذا سلاح فتّاك مدمّر. وقد أعلنت إيران مراراً وتكراراً أن البرنامج النووي بهدف الاستعمال السلمي، والصين تدفع إيران في هذا الاتجاه، ونرفض أيّ اتجاه لصناعة السلاح. الصين تؤيد إيران في الاستعمال السلمي للمفاعل النووي؛ لأن الصين من الدول الموقعة على اتفاقية منع الانتشار النووي. دائماً عندما نتكلم مع الإيرانيين نوجّه لهم الكلام نفسه؛ فهناك خطر في العالم من الانتشار النووي، ونقدم لهم النصائح عبر القنوات المفتوحة، ونقول لهم موقفنا، وهناك دول ستّ معنية بالملف النووي الإيراني، وهي حريصة على أن توجّه إيران إلى عدم السير نحو تصنيع السلاح النووي، وأن يكون استخدام المفاعل في إطار سلمي.

*** الآن آسيا تنهض بقيادة الصين، والصين دولة عظيمة اقتصادياً إلى جانب دول أخرى كاليابان وكوريا وإندونيسيا وفيتنام وسنغافورة وماليزيا، في كلّ هذه الدول امتداد صيني، ولها حضورها الديموغرافي والاقتصادي السياسي الإستراتيجي، ولا نقول: العسكري، في الصين كثافة في العدد السكاني، وفي الدعم المالي، كيف ترون القرن**

المقبل في آسيا؟

- كلّ العالم لاحظ أن آسيا متطورة ومتقدمة، ويمكن للناس وصفها بالصفات الجميلة. نعم، فعلاً هذه القارة الواعدة لها مستقبل كبير، وعلى هذا الأساس قرّرت أمريكا نقل ثقل إستراتيجيتها إلى آسيا. فعلاً القارة في ازدهار اقتصادي ونمو، وقد قرّرت الصين تغيير جهدها على مدى ٣٠ سنة، غيّرت ملامح وجهها الصيني. الصين -عفواً لو قلتُ الحقيقة- بلد كبير عدد سكانه ضخم، وعدد فرص العمل فيه كثيرة. هذا من سياسة الدولة: السياحة والانفتاح جعلا الصين ثاني اقتصاد عالمي، وعدد السكان الأول في العالم (مليار وثلاثمئة مليون)، إذا أنت وزّعت الدخل الإجمالي على الفرد فهو قليل جداً.

قرارات الحزب الأخيرة أكّدت رفع مستوى معيشة الشعب إلى الضعف في عام ٢٠٢٠م عما كانت عليه في عام ٢٠٠٠م. سيتزايد دخل السكان، هذا جيد؛ فمثلاً إذا كان في السنة الماضية عندنا دخل الفرد ٥٤٠٠ دولار لكل شخص فسيصل في عام ٢٠٢٠م إلى ١٠ آلاف دولار للفرد، هذا كثير، وبذلت الصين كلّ جهدها لتنمية نفسها من أجل المحافظة على بيئة سلمية جديدة في المنطقة، وتتبنى الصين سياسة حسن الجوار، وتتعاون مع الآخرين، ثم ننمّي أنفسنا، هذه سياسة الصين مع الدول المجاورة.

*** عفواً، التقدم الصيني وإقامة المصانع والجسور والسدود الجبارة عمل إيجابي، لكن ماذا عن الآثار البيئية؟ ماذا أعدت الصين لمواجهة التلوث البيئي؟**

- بالنسبة إلى قضية البيئة صحيح ما قلته؛ ففي السنوات الأولى من السياسة الجديدة فعلاً حدث تلوّث، وحدث كل شيء سلبي، أما الآن في السنوات الأخيرة؛ أي: قبل أكثر من عشر سنوات، وضعت الصين قضية البيئة في المقدمة عند إقامة المشروعات الكبرى، هناك حرص على الاستماع إلى الشعب؛ فمثلاً: إذا كان هناك قرار بإنشاء مشروع في أيّ مكان، وكانت هناك معارضة من السكان المقيمين حول المشروع، فلابد من أخذ آرائهم في الحسبان. أصبحنا الآن أكثر اهتماماً بالبيئة؛ فأيّ مشروع تنموي يجب أن يُدرس جيداً من الناحية البيئية، هذه هي سياستنا الآن.

*** الصين أكبر مالك لسندات الخزانة الأمريكية، وامتلاكك سندات خزانة يمنحك ثقلاً اقتصادياً وسياسياً، كيف ترون تأثير ذلك في صناعة القرار الأمريكي الآن؟**

- لا أعتقد أن هناك تأثيراً سياسياً؛ فالتأثير اقتصادي. أنا لست اقتصادياً، ولا أعرف تفاصيل ما تملكه الصين في هذه الخزانة، وأعتقد أن الأمر اقتصادي بحت؛ لأن الصين ليست وحدها التي تحمل سندات خزانة أمريكية؛ فهناك مثلاً المملكة، ودول الخليج، واليابان، ثم أوربا، كلّ هذه الدول تشتري السندات الأمريكية.

*** الأزمة الاقتصادية الآن في أوربا وفي أمريكا جزء من انتقال القوة الاقتصادية والسياسية في العالم إلى آسيا، والأزمة في أوربا بنيوية مثلما حدث في إسبانيا والبرتغال واليونان، وستلحقها بلجيكا، وأنا قرأتُ أن ديونها أكثر من ٣٠٠ مليار دولار، فهل على الصين وبعض دول الخليج وبعض الدول تخفيف هذه الأزمة؟ كيف ترون ذلك؟**

- الأزمة الاقتصادية المالية بدأت في أمريكا أولاً، ثم امتدت إلى أوربا، الآن في أمريكا انخفضت الأزمة، لكن في أوربا الآن لابد أن يتغيّر الوضع. الصين أيضاً متأثرة من هذا الوضع؛ فقد كنا نعتمد على التسليف، والسوقان الأمريكي والأوربي انكمشا، وهذا -بلا شك- يؤثر في الصين. وهناك قانون اقتصادي يتمثل في أنه لابد أن تأخذ الأزمة سنوات، ولابد أن تمرّ الأزمة بمراحل؛ لذلك الصين بذلت جهداً لمساعدة أوربا مثلاً عن طريق صندوق النقد الدولي. لا أعرف إذا كانت الصين أودعت المبلغ في هذا الصندوق، أو في أكثر من صندوق، لكي تساعد التنمية في أوربا، وهذا الصندوق يساعد دول الشرق الأوسط والعالم العربي، وقرأتُ خبراً أن مصر تتفاوض مع الصندوق للحصول على مبلغ ٤ مليارات و٨٠٠ مليون دولار، وبيننا وبين مصر اتفاقية ثنائية، لكن عن طريق الصندوق تساعد أوربا والشرق والأوسط في تخفيف الأزمة الاقتصادية.

*** العالم العربي يمرّ بمراحل: فقد تغيرت بنية الشعوب، فصارت تتحدث بقوة، وأتكلم أن الأمر يشمل كل الدول من المحيط إلى الخليج، أتكلم حتى**

**عن الداخل لكي نكـون منصفين وموضوعيين، الناس صـارت تطالـب بالشـفافية، ومراقبـة المـال العـام، ومحاربة الفساد، وتوسيع المشاركة السياسية. هذه المطالبات تبـدو كونية، لكن العالـم العربي يبدو أنه تأخـر، هل يعود هذا الأمر إلى كـون النمو الاقتصادي والنمـو الاجتماعـي أقلّ مـن النمو السياسـي؟ كيف ترون ما اصطلح على تسميته بالربيع العربي؟**

- عندما بدأت الصين سياسة الانفتاح كان هناك موضوع مهم جداً أمام القادة الصينيين، وهو كيفية المعالجة الصحيحة بين ثلاث علاقات: الاستقرار، والإصلاح، والتنمية. هذه ليست مهمة فقط بالنسبة إلى الأوضاع الصينية، لكن لابد من المعالجة الصحيحة، ولابد من عمل توازن في هذه العلاقات الثلاث لأيّ دولة تريد التغيير. أنا اشتركت في ندوة في بكين مع أصدقاء عرب يسألون: ماذا ترى في الربيع العربي؟ وماذا ترى فيما حدث في مصر؟. هناك مشروع الـ١٠٠ يوم للرئيس مرسي، هل ترى أيّ بند أو نقطة أهم من بنود أخرى؟. أنا أجبت على أساس التجربة الصينية، والأساس هو الاستقرار؛ فهو أهم شيء، ومن غير الاستقرار لا يمكن تحقيق أي شيء، لا في التنمية ولا في الديمقراطية ولا في أيّ شيء آخر. إذا كنتم تسألونني عن أيّ بند أختار، فأنا أختار البند الأول، وهو الاستقرار، وهو أهم من المرور والخبز والنظافة؛ فمثلاً: ما يحدث في مصر خلال الأيام الأخيرة هو عدم استقرار، ولا يمكن أن تستقطب الاستثمار من غير وضع آمن ومستقر؛ لأنه كما يُقال: رأس المال جبان؛ لأنه يخشى الخسارة؛ لهذا أنا أدعو دائماً إلى الاهتمام بالاستقرار من واقع التجربة الصينية.

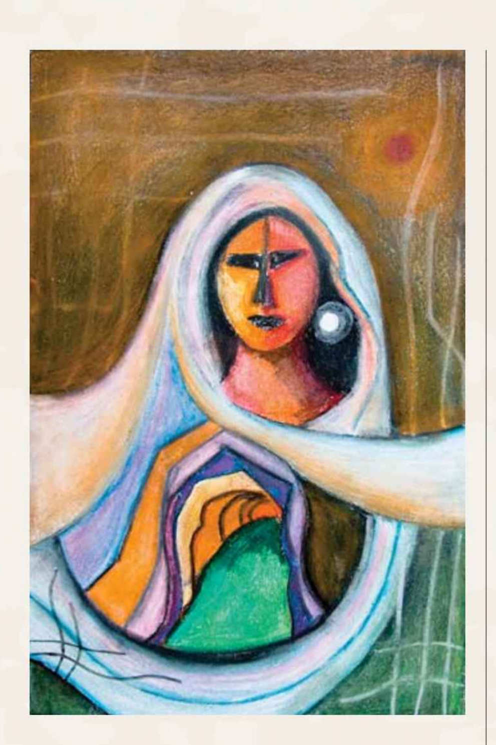
خادم الحرمين الشريفين والرئيس الصيني مع مجموعة من قادة العالم



محمد جبر الحربي
الرياض – السعودية

# القرار والجواب!!

يا أنتِ يا مَلَكاً يعودُ كما الهلالِ
وقلتُ غابْ.
يا خفقَ أجنحةٍ تُهادنُ ثمّ تعلو
ثمّ تهبطُ في انسيابْ.
يا وجهَ شمسٍ قدْ تحجّبَ
بالسحابْ.
يا بابَ معرفةٍ عصيّةْ.
يا طفلةً يحمرّ خدّاها إذا
شاغبْتُها:
ها يا شقيّةْ.
يا بسمةً أولى
وأسئلةً تُثارُ على مشارفِ
دهشةٍ
ونموَّ أشجارٍ على أطرافِ صحراءٍ
يبابْ.
يا أنتِ يا لحناً كأحلامِ الطفولةِ
يا كروماً من تواريخِ الحضارةِ يا
ربابْ.
يا نوتةَ الألوانِ أغنيةً يموجُ بها
القرارُ
إلى الجوابْ.
ما سرّ سحركِ؟
ما الحضورُ وما الغيابْ؟
إن أغلقوا باباً سيُفتحُ ألفُ بابْ.
في القلبِ متّكأً وورْدٌ
مجلسٌ لجمالِ سيدةِ الحديقةِ
للصبايا الياسمينُ وما يُشيعُ
من العطورِ
وما يضيفُ من البياضْ.
للأهلِ ما تهبُ السحابةُ
والرياضْ.
للعينِ تقرأُ ما أدوّنُهُ.. الكتابْ.
يا مُزنةَ الروحِ استريحي
قهوتي بنٌّ يمانيٌّ وأشعاري
من الزهرِ الرحيقْ.
النهرُ للمعنى
وللمعنى أكفّ المانحين
الصابرينْ.
والنهرُ للمبنى
وللمبنى تدرّجُ ما يردّدُ
منشدون لمنشدينْ.
والشعرُ مِن معنى ومِن مبنى
ومِن نهرٍ تدرّج من أمانينا
لنفهمَ ما سيتركُهُ الحريقُ
ومَن سيشعلُهُ الطريقْ.
لا شيء عندي
غير أغنيةٍ حزينةْ.
والبحرُ يعلو
لا مكانَ
ولا أمانَ



ولا سفينةْ.
لولاكِ هذي الأرض قفْرٌ
لا طيورَ ولا شجَرْ.
والطفلُ يسألُ يا قمَرْ:
مَن جفّفَ الأفكارَ مِنْ قبلِ الخرابْ؟
من جفّفَ الأنهارَ في الأوطانِ
حتى..
بات سيّدها الغرابْ؟!




مسيرة الإبل العكاظية في جادة سوق عكاظ



# عراقة الماضي وزهو الحاضر

سيد الجعفري
هيئة التحرير

# ملتقى الحياة



الأمير خالد الفيصل يحيي الفريق الفني للعمل الدرامي «العكاظيون الجدد»

كان النابغة الذبياني تُضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها. وخطب فيه قسّ بن ساعدة الإيادي خطبته الشهيرة، وهو على جمله الأورق: «أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير...». وفيه عُلّقت القصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها. وبعد اندثاره بنحو ١٣٠٠ سنة عاد السوق ليزدهر مرةً أخرى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز على يد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -أمير منطقة مكة المكرمة - حتى أصبح قبلة الشعراء والمبدعين، وأصبحت جوائزه في صدارة المشهد الثقافي الإبداعي. (الفيصل) تنقل لكم صورةً حيةً عن سوق عكاظ التاريخ والحاضر.

## استدعاء التاريخ

سوق عكاظ أهم أسواق العرب وأشهرها، يقع في شمال شرق مدينة الطائف على بعد ٤٥كم تقريباً على طريق الطائف- الرياض. وكان العرب يجتمعون فيه للبيع والشراء، ويستمعون إلى الشعراء والخطباء، وقد سجّل التاريخ لسوق عكاظ دوراً أدبياً بارزاً في الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية؛ إذ يعود تاريخ السوق إلى ثلاثة قرون أو أربعة قبل الميلاد، ونشط في الحقبة السابقة لظهور الإسلام، واستمر في عهد النبوة وصدر الإسلام أيام الراشدين وزمن بني أمية حتى سنة ١٢٩هـ، وهو أحد الأسواق الثلاثة الكبرى

في الجاهلية، مع سوقي مجنة وذي المجاز، وكانت العرب تأتي عكاظ لمدة ٢٠ يوماً من أول ذي القعدة إلى يوم ٢٠ منه، ثم تسير إلى سوق مجنة، فتقضي فيه الأيام العشرة الأواخر من شهر ذي القعدة، ثم تسير إلى سوق ذي المجاز فتقضي فيه الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة، ثم تسير إلى حجّها.

ولم يكن سوق عكاظ مكاناً يُنشد فيه الشعر فحسب، بل كان أيضاً موسماً اجتماعاً قبائلياً له دوره السياسي والاجتماعي الكبير؛ فقد مثّل عكاظ لقبائل العرب منبراً إعلامياً يجتمع فيه شيوخ القبائل بعشائرهم، وتُعقد فيه مواثيق، وتنقض فيه أخرى. كما كان السوق مضماراً لسباقات الفروسية والبراز، وسوقاً تجارياً واسعاً تقصده قوافل التجار الآتية من الشام وفارس والروم واليمن، ومنتدى تطلق فيه الألقاب على الشعراء والفرسان والقبائل، وغير ذلك، ومنبراً خطابياً تُقال فيه الخطب، ويُنصت إليه الناس، ومجلساً للحكمة تُحفظ فيه الحكم، وتسير بها الركبان، ويتمثّل بها الناس. وكان سكّان سوق عكاظ الأوائل هم قبيلتي هوازن وعدوان، وسُمّي سوق عكاظ بهذا الاسم؛ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيتعاكظون؛ أي: يتفاخرون ويتناشدون.

وقد أعيد إحياء هذا السوق في العهد السعودي سنة ١٤٢٨هـ؛ أي: بعد نحو ١٣٠٠ سنة من اندثاره وغيابه عن الوجود والتأثير الثقافي، فافتتحه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -أمير منطقة مكة المكرمة- نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ويشتمل برنامج السوق على فعاليات ثقافية، وأمسيات شعرية، وندوات فكرية، وعروض مسرحية، وفلكلور شعبي يمثّل عدداً من المحافظات والمناطق في المملكة العربية السعودية. ويشارك في البرامج والفعاليات مجموعة من المفكّرين والشعراء من عدد من الدول العربية، وتم توسيع الأنشطة والمشاركات والمسابقات عاماً بعد عام حتى أصبح سوق عكاظ تظاهرةً ثقافيةً عربيةً كبرى ذات شخصية فريدة ومميزة، وأصبحت جوائز عكاظ محطّ أنظار المبدعين والمثقفين من مختلف أرجاء الوطن العربي.

## رؤية شاملة

انطلقت فكرة إحياء سوق عكاظ من نظرة شاملة تتجاوز البُعد الثقافي إلى البُعد الاقتصادي والتأثير الدولي، وهو ما ذكره الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز -أمير منطقة مكة المكرمة- عندما أكّد أن أنشطة السوق تحاكي الحاضر والمستقبل، وأنها متفرّدة بعيدة من النقل والتقليد، وأن هوية السوق الرائدة تعكس الواقع السعودي بكل تفاصيله، وصولاً إلى أن يكون للسوق الدور الفاعل في الأنشطة الثقافية، والإسهام في الحراك الإنساني بوصفه رافداً مهماً في بناء الإنسان وتنمية المكان. ولا ينطلق الاهتمام بسوق عكاظ من الحرص على إحياء المكان، وإنما إعادة الاهتمام إلى مكانته الفكرية، والثقافية، والإنسانية، والاقتصادية، والانطلاق منها إلى بناء مشروع نهضوي حضاري يُعنى بمدّ جسور من الماضي إلى المستقبل بالعناية



الأمير خالد الفيصل يحيي طفلة من المشاركات في حفل افتتاح المهرجان

بالإبداع والتميز العلمي ونشر الثقافة والعلم والمعرفة.

وانعكست هذه الرؤية الشاملة في عدد زوّار سوق عكاظ في دورته السادسة الماضية؛ إذ شهدت -حسب تقرير الهيئة العامة للسياحة والآثار- ارتفاعاً عن الدورة الخامسة بنسبة ٤٤٪، فتجاوز عدد مرتادي السوق خلال عامه السادس ٢٥٦ ألف زائر. كما وصفت منظمة السياحة العالمية التابعة لليونسكو سوق عكاظ بأنه تجربة ناجحة، ويعدّ إحدى المناسبات الأبرز التي تُعنى بالتراث الثقافي غير المادي، ودعت السائحين إلى ضرورة زيارته؛ لما يحويه من أنشطة فريدة ومتنوعة تهدف إلى توطيد العلاقة بين الأجيال وإحياء التراث.

مسيرة الفرسان في جادة سوق عكاظ


العددان ٤٤٥ - ٤٤٦ / رجب - شعبان ١٤٣٤هـ

## شاعر عكاظ

أهم ما يميّز سوق عكاظ هو مسابقة جائزة (شاعر عكاظ)؛ لأن السوق عُرف واشتهر بالشعر أكثر من أيّ شيء آخر، وتهدف المسابقة إلى الاعتناء بالشعر العربي الفصيح، وتقدير الشاعر العربي المتميّز من خلال منحه وسام الشعر العربي ممثّلاً في لقب (شاعر عكاظ)، ودرع عكاظ، وبُردة شاعر عكاظ، ودعوةً لحضور السوق، وإلقاء قصيدته الفائزة في حفل الافتتاح، إضافةً إلى جائزة مالية قدرها ٣٠٠ ألف ريال سعودي. ويشارك في المسابقة أيّ شاعر من شعراء العربية له إنتاج منشور باللغة العربية الفصحى ذو قيمة أدبية تضيف جديداً، ويتقدم المتسابق بقصيدة جديدة مميّزة لم تُنشر من قبل تمثّل تجربته الشعرية، وتبرز مستوى شعريته، وتكشف إمكاناته وقدراته الفنية، وتُمنح الجائزة لشاعر واحد، ولا تُمنح مناصفةً، ويتولّى تحكيم الجائزة لجنة من النقاد العرب والمختصين بالدراسات الأدبية، وتتم المفاضلة بين المتسابقين من





خلال جمع درجة تحكيم القصيدة (٥٠٪) مع درجة تحكيم الإنتاج الشعري للمتسابق (٥٠٪). وتُقبل الترشيحات لهذه الجائزة من الجامعات والمؤسسات الثقافية والأدبية الحكومية والأهلية ذات الصفة الاعتبارية في الوطن العربي وخارجه، كما تُقبل طلبات المشاركة الفردية.

وكانت الشاعرة السودانية روضة الحاج عثمان علي هي آخر من حصلت على هذه الجائزة في دورتها الماضية (الدورة السادسة- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، وهي أول شاعرة تحصل على الجائزة بعد أن سيطر الشعراء الرجال على جوائز الدورات الأربع الأولى، وحُجبت الجائزة في دورتها الخامسة (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، والشعراء الأربعة هم: السعودي محمد الثبيتي (الدورة الأولى- ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، والمصري محمد التهامي (الدورة الثانية- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، والسوري عبدالله عيسى السلامة (الدورة الثالثة- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، واللبناني شوقي بزيع (الدورة الرابعة- ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

## وللشباب في عكاظ نصيب

حظي الشباب باهتمام كبير في سوق عكاظ من خلال جائزة شاعر شباب عكاظ، التي انطلقت في العام الثالث للسوق (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، وهي مخصّصة لشعراء المملكة الشباب، وتهدف إلى تشجيعهم، وبثّ روح التنافس بينهم. ويشترط في الترشح لهذه الجائزة أن يقدم الشاعر نصاً شعرياً باللغة العربية الفصحى يحمل رؤيةً وتشكيلاً، ومضموناً جيداً، وألا يكون هذا النصّ قد حصل به صاحبه على جائزة من قبلُ، وألا يتجاوز عمر المتسابق ثلاثين عاماً، وتبلغ قيمة هذه الجائزة مئة ألف ريال، ويتم الترشيح لها من الأندية الأدبية، والمؤسسات الثقافية والتعليمية في المملكة.

ونال جائزة شاعر شباب عكاظ في الدورات السابقة ثلاثة من الشعراء السعوديين الواعدين، هم: أحمد القيسي (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، وناجي علي حرابة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، وإياد حكمي (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، وحجبت الجائزة سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

مسيرة الفرسان في جادة سوق عكاظ

العددان ٤٤٥ - ٤٤٦ / رجب - شعبان ١٤٣٤هـ

## حرف يدوية وفلكلور شعبي

تحظى الحرف اليدوية والفلكلور الشعبي بنصيب كبير خلال فعاليات سوق عكاظ؛ فالحرف اليدوية لها جائزة تُعنى بالمبدعين في مجال الابتكار في الحرف والصناعات اليدوية والشعبية في المملكة، وهي تُمنح للحرفيين السعوديين من الرجال والنساء الذين يسعون إلى إحياء مهارة نادرة، ويقدمون أفضل أعمالهم، ويظهرون مهارةً في العمل خلال تقديم العروض في أثناء مشاركتهم في نشاط سوق عكاظ. وتتلخّص معايير الجائزة في معاينة التفوّق والتميّز والتصميم والابتكار في المنتج والدقة في العمل، وتشمل ستّ حرف وصناعات يدوية، هي: السدو أو النسيج والسجاد اليدوي وأعمال الكروشيه اليدوية، والتطريز على القماش والأزياء التراثية باستخدام الخيط أو الخرز، وصناعة المنتجات الخشبية ونحتها ونجارتها، وصناعة المنتجات اليدوية من النخيل، والرسم أو النحت أو النقش أو الزخرفة اليدوية على أيّ مادة طبيعية، والمنتجات الحرفية الأخرى التي لها طابع ابتكاري. ورُفعت قيمة الجائزة في الدورة السابعة هذا العام



(١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) من ١٥٠ ألف ريال إلى نصف مليون ريال، موزّعةً على المجالات الستة، في كلّ مجال ثلاثة مراكز.

وقد استحدثت الهيئة العامة للسياحة والآثار هذه الجائزة ضمن جوائز سوق عكاظ السنوية؛ للتعريف بالحرفيين ومنتجاتهم اليدوية، والاهتمام بهم، وتشجيعهم على الإبداع، واستمرار العطاء، وتنمية مهاراتهم في هذا المجال، وخلق فرص للتعاون والتبادل بين الحرفيين أنفسهم. ويُشترط في هذه المسابقة تقديم المشارك قطعتين على الأقلّ من منتجاته الحرفية: قطعة مكتملة الإنجاز، وقطعة مشابهة يتم إنجازها تحت معاينة لجنة التحكيم خلال إقامة فعاليات السوق؛ بهدف معرفة المهارة الحرفية للمشارك أو المشاركة، على أن يكون هذا العمل يتم عرضه للمرة الأولى في السوق، ويقدّم المشاركون معلومات وافية عن كل قطعة حرفية مقدمة، تشمل نبذةً من النشأة، والمواد المستعملة، والتقنيات المطبّقة. وتتألف لجنة تحكيم هذه المسابقة من خبراء لديهم خبرات فنية وإدارية في مجال الحرف والصناعات اليدوية، وتقوم بتقويم أعمال الحرفيين قبل إقامة سوق عكاظ وفي أثناء إقامته تحت إشراف الهيئة العامة للسياحة والآثار.

وتختصّ جائزة الفلكلور الشعبي بمحافظات منطقة مكة المكرمة، ويتم الترشيح للمشاركة فيها عبر المحافظات بالتنسيق مع اللجنة العليا لسوق عكاظ. وتتنافس الفرق الشعبية المقدمة للعروض على الفوز بالجائزة التي تبلغ قيمتها ١٨٠ ألف ريال، موزّعةً على ثلاثة مراكز: الأول: مئة ألف ريال، والثاني خمسون ألف ريال، والثالث ثلاثون ألف ريال.

## جادة عكاظ.. مسرح يحاكي الماضي

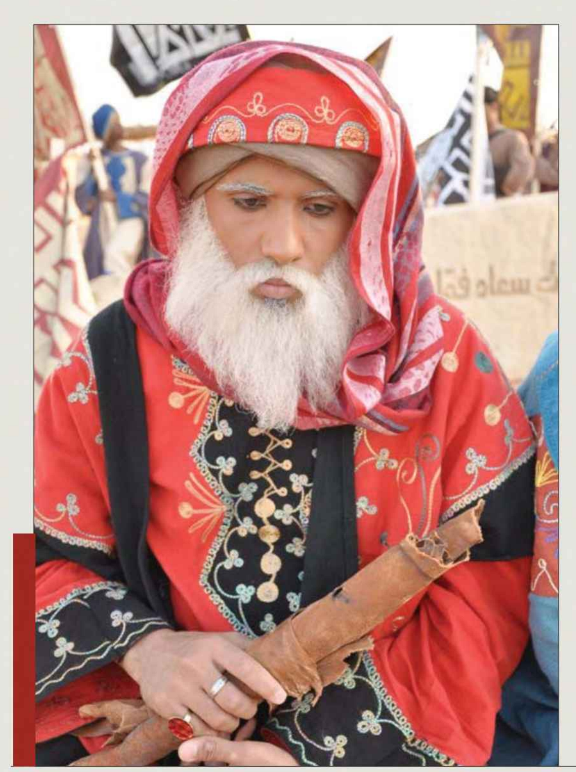
تحتضن جادة عكاظ، التي يصل طولها إلى ١,٥ كيلومتر، محلات ومعارض وأركاناً للحرف اليدوية التقليدية، وتُنفّذ فيها أعمال مسرحية درامية تاريخية متنوعة (مسرح الشارع)، تمثّل جوانب الحياة والأنشطة التي كانت تتمّ في سوق عكاظ قديماً، وتُؤدّى باللغة العربية الفصحى، إضافةً إلى إلقاء الشعر العربي الفصيح، خصوصاً المُعلّقات، وإلقاء الخُطب التي بُنيت عليها شهرة سوق عكاظ، ويؤدّيها ممثّلون محترفون وهواة على طول الجادة من المملكة وبعض الدول العربية.

وتضم جادة عكاظ موقعاً يمثّل أحد الأحياء التي كانت تُقام في عكاظ، ويحتوي على عناصر مختلفة من الحياة في عكاظ؛ مثل: بيوت الشَّعر المصنوعة من مواد خاصة بعكاظ، ومجهّزة من الداخل على الطراز العربي. كما يشاهد زائر الجادة عروضاً لنماذج من الحياة اليومية المعروفة في عكاظ قديماً؛ مثل: مرور القوافل والشعراء على الإبل والخيل، وإلقائهم قصائدهم وأدبهم في السوق باللغة العربية الفصحى، وعروض الألعاب الشعبية والرياضات التراثية، ومحلات الحرف والصناعات اليدوية التي يعمل بها حرفيون وحرفيات من المملكة وبعض الدول العربية؛ لتصنيع منتجاتهم وبيعها بشكل حيّ ومباشر، منهم الحرفيون المرشحون لجائزة عكاظ للحرف اليدوية.

## العكاظيون الجدد

زيّن مهرجان عكاظ في عامه السادس عرض (العكاظيون الجدد)، الذي يقدّم رؤيةً مغايرةً عن المسرح والأوبريت من خلال عرض

الراوي، ويجسده عبدالعزيز الهديب





أطفال سوق عكاظ ١٤٣٣هـ



أوبرالي يتكون من عمل درامي غنائي استعراضي فانتازي يقدّم صورةً فنيةً تجمع الماضي والحاضر عبر شخصيات تجسّد شعراء السوق التاريخيين؛ كالأعشى، والنابغة الذبياني، وغيرهما في حوار يجمعهم مع شاعر معاصر من الجزيرة العربية يلتقي مع أجداده في حوار شعري يؤكد تواصل الأجيال، وأن الجزيرة العربية لن ينضب معينها الشعري، وكان الشاعر المعاصر الذي وقع عليه الاختيار هو الشاعر الراحل الدكتور غازي القصيبي، وجسّد شخصيته على المسرح الممثّل رياض الصالحاني، وأظهر العمل القصيبي وهو يحتكم أمام النابغة في سوق عكاظ، وبعد سماع النابغة له تسلّم راية شاعر عكاظ، الذي سلّمها بدوره إلى الأمير خالد الفيصل ليسلّمها إلى خادم الحرمين الشريفين. وتضمّن العرض بعض الإسقاطات على عدد من القضايا المعاصرة، وواقع الشعر العربي الفصيح بين الماضي والحاضر، وتميّز بديكور بسيط يجمع بين القديم كالصخرة التي كان يعلوها الشعراء لإلقاء

حرفيو جادة سوق عكاظ ١٤٣٣هـ: عبدالعزيز حلواني.. صانع المراكب

قصائدهم في السوق في الزمن الماضي وبعض القطع التي ترمز إلى الحاضر. وتمّ عرض العمل على مسرح مقسّم أربعة أجزاء متباينة في المستويات، وتم الانتقال بين المشاهد من خلال أسلوب توزيع الإضاءة على المسرح بين المشاهد. وتتكون أجزاء المسرح الأربعة من: مسرح أمامي ذي مستوى منخفض، ومسرح خلفي أعلى مستوى تُقام عليه خيمة النابغة الذبياني التي يتجمّع حولها الناس في سوق عكاظ، ويقع الجزءان المتبقيان على جانبي المسرح بشكل طولي، ويقف عليهما العارضون. وكتب قصة هذا العرض الدكتور صالح المحمود، وكتب السيناريو مسفر الموسى، وكانت الموسيقا لخالد العليان، والرؤية الدرامية للمخرج فطيس بقنة.

## خيمة سوق عكاظ

شهدت الدورة السادسة لسوق عكاظ افتتاح خيمة سوق عكاظ بتكلفة ٤٠ مليون ريال ضمن سلسلة المشروعات الكبرى الرامية إلى

حرفيو جادة سوق عكاظ ١٤٣٣هـ: مسعد بخيت.. صانع الحبال






بناء مدينة تاريخية وسياحية متطورة على مساحة عشرة ملايين متر مربع تتناسب مع البعدين التاريخي والسياحي للسوق، وتدعم الثقافة والمثقفين، وتكون مركزاً للبرامج والأنشطة الثقافية. وتبلغ المساحة الإجمالية لموقع مشروع خيمة سوق عكاظ سبعة آلاف متر ضمن إجمالي مساحة الأرض التي يمتلكها السوق، وتبلغ مساحة الخيمة وحدها ٢٥٧٢ متراً مربعاً. ويتكون مشروع الخيمة من المبنى الرئيس، ويشمل الدور الأرضي الذي يحتوي على ٣٠٦١ مقعداً، منها ٣٠٠ مقعد للنساء، و٢٨٠ مقعداً لكبار الشخصيات، وقاعات انتظار، ومكاتب، وخدمات مساندة، وقاعات محاضرات ومناسبات، و١٠ أبراج موزّعة على المبنى الرئيس، وتغطي الخيمة التي ترتكز على دعائم معدنية المبنى الرئيس كله من جهاته الأربع مع المنطقة المقابلة لصخرة عكاظ.

وتشكّل الخيمة تحفة معمارية في قلب السوق، وتتجلّى روعة التصميم في مزجه بين ارتباط الشكل بمحتويات السوق وحضارة

## شعار تراثي

استوحى شعار سوق عكاظ تصميمه من الخطّ الذي ظهر في بعض الكتابات على الأحجار الباقية في موقع السوق التاريخي، ويدلّ تقارب الألوان التي ملأت الفراغات بين الكلمات وانسجامها على وحدة الهدف الذي من أجله توجّه الناس إلى السوق، وإن اختلفت مشاربهم وأهواؤهم. وأخذ هذا الشعار، الذي يزهو به مهرجان سوق عكاظ التاريخي، من الماضي بقاءه، ومن الحاضر عافيته، وفيه الإحساس بالصوت والمتلقّي، والخيمة والوتد.

التقنية. وتحوّلت الخيمة، التي صُنعت في اليابان، إلى لوحة ضخمة من النقوش العكاظية المشهورة، وهي النقوش ذاتها التي تجمّلت بها مداخل المبنى المختلفة وممرّاته. ويكتسي المبنى باللون الصحراوي تماشياً مع روح المكان وزمان السوق، بينما تُغطى كراسي الخيمة باللون الأحمر، وتمتد على مساحة الخيمة من جهة واحدة، وتتدلّى من فوقها خراطيم ضخمة للتهوية تتناسب مع جمال الخيمة من الداخل، وتتوسّط الخيمة غرفة التحكم والنقل التلفازي والإخراج المسرحي.

شهد السوق تطوراً ملحوظاً خلال الأعوام الستة الماضية؛ فمن رصيد جائزتين، هما: شاعر عكاظ، والفولكلور الشعبي، إلى ثماني جوائز في الدورة السابعة للسوق تبلغ قيمتها نحو مليون ونصف المليون ريال. وتشهد الدورة السابعة (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) موافقة اللجنة الإشرافية العليا لسوق عكاظ التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -أمير منطقة مكة المكرمة- على إنشاء مركز لدراسات الشعر العربي الفصيح، مقرّه موقع السوق الحالي، واعتماد كرسي لدراسات الشعر العربي الفصيح تحتضنه جامعة الطائف؛ ليكون المركز نواةً لـ(أكاديمية عكاظ للشعر العربي)، ويمثّل مع الكرسي مرجعيةً عربيةً للشعر الفصيح تكون الأقوى في المنطقة العربية.

## تطور مستمر

شهد مقرّ سوق عكاظ منذ انطلاقته تنفيذ عدد من المشروعات، أبرزها: إعادة تأهيل جادة سوق عكاظ بطول ١,٥كم، وإنشاء بوابة سوق عكاظ، وتنفيذ بيوت الشَّعر والمخيمات، وتجهيز المتنزهات، وإنشاء ممرات المشاة والزوار، وأعمال السفلتة ومواقف السيارات، وتأسيس أنظمة الإنارة، وأعمال الطرق الموصلة إلى مقرّ السوق، واللوحات الدعائية على طول الطريق المؤدية إليه، والمسرح الداخلي، وصالة الافتتاح الرئيسة المؤقتة، والمسطحات الخضراء، وشبكات الري والمياه ودورات المياه، وأعمال الصيانة الدورية السنوية. وتتضمن جادة عكاظ المساحة الرئيسة للسوق، ومعارض الجهات المشاركة، والمسرح الجديد، ومسرح الفنون الشعبية، ومسارح جادة عكاظ، والصخرة، وإدارة السوق، ومساحات فضاء.



الأمير خالد الفيصل يقلد إياد حكمي بردة شاعر شباب سوق عكاظ ١٤٣٣هـ



ويقلد روضة الحاج شاعر سوق عكاظ ١٤٣٣ هـ بردة شاعر عكاظ

جانب من العمل الدرامي الذي شهده افتتاح سوق عكاظ ١٤٣٣هـ، ويحكي مساجلة ومحادثة بين النابغة الذبياني وغازي القصيبي






العددان ٤٤٥ - ٤٤٦ / رجب - شعبان ١٤٣٦هـ

# جائزة مسابقة لوحة وقصيدة

الفنان التشكيلي عبده عريشي



بـدأت هـذه المسابقة مع الـدورة الثانية من عمر سـوق عكاظ (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، وتهدف إلى تشجيع الفنون عامةً، وما يرتبط منها بالشعر؛ فنّ العرب الأول خاصةً؛ لذلك فإن هذه المسابقة توضح العلاقة الوثيقة بين الشعر والرسـم، وتشجع الفنانين التشكيليين السعوديين، والعرب المقيمين بالمملكة العربية السعودية على ارتياد هذه المساحات، وتقديم ما يكشف إمكاناتهم وقدراتهم الإبداعية الخلاقة. وتبلغ قيمة الجائزة مئة ألف ريال، موزّعة على ثلاثة مراكز: الأول خمسون ألف ريال، والثاني ثلاثون ألف ريال، والثالث عشرون ألف ريال. ويُشترط لهذه المسابقة أن يتقدم الفنان بلوحة تشكيلية لا يزيد مقاسها على ١,٥٠×١م، وأن يستلهم في لوحته الفنية إحدى القصائد الشعرية، ويستوحي مضمونها وإيحاءاتها، وأن تكون هذه القصيدة ضمن ديوان مطبوع أو منشورة بشكل رسمي، وأن يرفق القصيدة ومصدرها مع اللوحة، وألا يكون العمل المُقدّم قد حصل به صاحبه على جائزة أخرى، وأن يوافق المتسابق على عرض لوحته ضمن أعمال معرض سوق عكاظ للفن التشكيلي، وألا يطالب باستعادتها قبل انتهاء مدة المعرض.

حصد الجائزة في عامها الأول (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) الفنان التشكيلي السعودي فهد القثامي، ثم تقاسمها الفنانان التشكيليان السعوديان طه صبان وعبدالرحمن خضر سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ونالها الفنان التشكيلي السعودي محمد إبراهيم الرباط سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وفاز بها الفنان التشكيلي السوداني عوض أبو صلاح سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، وتقاسمها في الدورة الأخيرة (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ثلاثة فنانين تشكيليين، هم: السعوديان عبده عريشي وفهد خليف الغامدي، والصومالي عبدالعزيز يوبي.

# جائزة الإبداع والتميز العلمي

الفائزون بجوائز عكاظ في الدورة الماضية



انطلقت هذه الجائزة مع الدورة الخامسة لسوق عكاظ (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، وتهدف إلى تكريم الباحثين الذين أسهموا بأبحاث تخدم الإنسانية، وتشجيع الإبداع والتميّز العلمي للأبحاث ذات الطابع التقني التطبيقي في ضوء اتجاهات البحث العلمي والتطور المعرفي والتطبيقات المعاصرة التي استحوذت على اهتمام كل المستويات في معظم دول العالم.

وتبلغ قيمة هذه الجائزة مئة ألف ريال، ويتقدم المتسابق بالبحث أو مجموعة الأبحاث التي قام بإعدادها ونشرها في مجلات عالمية محكّمة متخصّصة في موضوع المسابقة، وتقبل الترشيحات من الجامعات ومراكز البحث العلمي والمؤسسات العلمية المتخصّصة، سواء أكانت حكومية أم أهلية في الوطن العربي أو خارجه، وتحكّم هذه الأبحاث لجنة علمية تضم مجموعة من كبار العلماء المشهود لهم في مجال التخصّص.

وفاز بالجائزة في عامها الأول (الدورة الخامسة للسوق- ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) الدكتور أحمد صالح العمودي (اليمن)، والدكتور عبدالعظيم جاد (ألمانيا)، ونالها في عامها الثاني (الدورة السادسة- ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) الدكتور أحمد ظافر القرني (السعودية).

ويتناول موضوع جائزة الدورة السابعة لسوق عكاظ (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) (الجينوم في خدمة البشرية). وتمنح اللجنة العليا لسوق عكاظ جائزة الإبداع والتميز العلمي للأبحاث في مجال الجينوم وتطبيقاته من خلال: اكتشاف جينات جديدة لها علاقة بتخفيف المعاناة لشرائح معينة من البشر خصوصاً في مجال اكتشاف الأمراض وعلاجها، أو اكتشاف وظائف جديدة لجينات معروفة ذات صلة وثيقة باكتشاف الأمراض وعلاجها، أو تطوير طرائق جديدة لتطويع المعلومات البيولوجية المتاحة في قواعد البيانات وتسخيرها لفائدة الإنسان في مجالات اكتشاف الأمراض وعلاجها.

# جائزة مسابقة الخط العربي

تزامنت الدورة الأولى لهذه المسابقة مع العام الثالث من أعوام سوق عكاظ (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، وهي مفتوحة للخطّاطين من الجنسين من داخل المملكة وخارجها، وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم. ويُراعى فيها جودة العمل المشارك، وقواعد الخط العربي، إضافةً إلى الجانب الجمالي والإبداعي، وعدم استخدام البرامج الإلكترونية في تنفيذ العمل، ويُشترط لقبول العمل أن يكون منفذاً بيد الخطاط صاحب المشاركة، وألا يكون قد فاز في مسابقات أخرى من قبل. وتبلغ قيمة الجائزة مئة ألف ريال، موزّعةً على ثلاثة مراكز: الأول خمسون ألف ريال، والثاني: ثلاثون ألف ريال، والثالث عشرون ألف ريال.

وفاز بالجائزة في عامها الأول (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) الخطّاط السوري عكلة حبيش الحمد، ثم تقاسمها سنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) الخطّاطان العراقيان: صباح الأربيلي ومثنى العبيدي، وفي سنة (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) تقاسمها الخطّاط السوري محمد فاروق الحداد مع الخطاط المصري عبدالرحمن الشاهد، وفي دورتها الأخيرة (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) تقاسمها السوري حسام علي المطر، والمصري أحمد الهواري، والعراقي محمد نوري رسول.

# جائزة التصوير الضوئي

بدأت هذه الجائزة عامها الأول مع الدورة الرابعة من سوق عكاظ سنة (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، والمشاركة فيها مفتوحة للمصوّرين العرب من الجنسين من داخل المملكة وخارجها. ويتم تقويم الأعمال المشاركة في هذه الجائزة بناءً على جودة العمل، والجوانب الجمالية والإبداعية فيه، بشرط ألا يتضمن العمل المشارك ما يخالف التعاليم الإسلامية أو التقاليد الاجتماعية، وألا يكون قد فاز في مسابقات أخرى. وتبلغ قيمة الجائزة مئة ألف ريال، موزّعةً على ثلاثة مراكز: الأول خمسون ألف ريال، والثاني ثلاثون ألف ريال، والثالث عشرون ألف ريال. وتشرف على هذه المسابقة وزارة التربية والتعليم، التي تمتلك حقّ استخدام الصور الفائزة في المسابقة في المطبوعات والنشر الإلكتروني وباقي مجالات الترويج الخاصة بالجائزة، مع الاحتفاظ بالحق الأدبي للمصوّر. ويُشترط أن تلتزم المشاركات الصور الأصلية، مع عدم إحداث تغييرات فنية على محتوى الصورة، وإقرار المشارك بملكيته الصور.

وقدّم سوق عكاظ عبر دوراته السابقة عدداً من المصوّرين الفوتوغرافيين الذين جسّدوا الخيل العربي والأجسام المتشابهة، فتقاسم جائزة التصوير الضوئي في عامها الأول (الدورة الرابعة من عمر السوق- ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) المصور المصري سامي حلمي مع المصور السعودي بيان البصري، وتقاسم الجائزة سنة (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) المصور السعودي راشد البقمي والمصري جلال المسري، وتقاسمها في العام الماضي المصوران السعوديان فيصل مشرف الشهري وفهد العقيلي مع المصور العراقي شعيب خطاب.





على اليمين: الصورة الفائزة بالمركز الأول في مسابقة التصوير الضوئي بسوق عكاظ ١٤٣٣هـ للمصور العراقي شعيب هشام خطاب. وعلى اليسار: الصورة الفائزة بالمركز الثاني في المسابقة للمصور السعودي فيصل مشرف الشهري